تاريخ الكعبة

إعداد

جهاد محمد حجاج

دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع

٢٥٢,٢

ح . ج حجاج ، جهاد محمد .

تاريخ الكعبة / إعداد جهاد محمد حجاج .- ط١.- دسوق : دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع .

٨٠ ص ؛ ١٧,٥ × ٢٤,٥سم .

تدمك : 2 - 446 - 308 - 977 - 978

١. الإسلام .

أ- العنوان .

رقم الإيداع : ١٥١٦٤.

الناشر : دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع

دسوق - شارع الشركات- ميدان المحطة

هاتف : ٠٠٢٠٤٧٢٥٥٠٣٤١ - فاكس: ٠٠٢٠٤٧٢٥٦٠٢٨١

E-mail: *elelm_aleman@yahoo.com*

elelm_aleman@hotmail.com

2015



المقدمة

عرف عن العرب أنهم ليسوا كغيرهم من الشعوب فقد كانت العرب تسجيل كل الأحداث وتفخر بها فكانت أيامهم وتاريخهم خالداً.

وقبل أن تعرف الشعوب التقويم فقد كان للعرب تقويم خاص بهم وفريد عنه غيرهم من الشعوب فقد كانوا يعرفون السنوات بما حدث فيها من الأحداث وكانوا يسمون هذه الأحداث بها مثل عام الفتح وعام بدر. وعام الفيل الذي جاء فيه أبرهة الأشرم بأفياله القوية وجيشه الجرار لهدم بيت الله الحرام [الكعبة المشرفة].

وقد كان للعرب العديد من البيوت التي يلتقون فيها ومن هذه البيوت بيت نجران. وبيت غطفان. ودار الأرقم بن أبي الأرقم. للاجتماع فيها فكانت هذه البيوت تعد مجالسهم ونوادي الشورى والبرلمان عند العرب.

وكانت أعظم هذه البيوت هو [بيت الله الحرام الكعبة] التي كانوا يعظمونها ويذبحون لها ويقيمون احتفالاتهم السعيدة وكافة المناسبات السارة عندها .

وهذا دليل على مكانة الكعبة عند العرب قديماً وحديثاً لأنهم كانوا أهل علم وكتابة فقد علموا أن الله عز وجل أنزل الكعبة من عنده قبل خلق السموات والأرض بألفي عام. وتذكر كتب التاريخ الإسلامي أن الله عز وجل أنزل الكعبة ياقوتة بيضاء وقيل خضراء.

ولذلك كانوا يعظمون الكعبة بالغ التعظيم لما خصها الله عز وجل من الفضائل العديدة بأن جعلها الله القبلة الأولى. عند خلق آدم عليه السلام. إلى أن أقام سيدنا يعقوب المسجد الأقصى. ثم عادت القبلة إلى الكعبة تكريماً لسيدنا محمد ﷺ وليكون ذلك دليلاً على أن جميع الرسل والأنبياء جاءوا من أجل هدف واحد وهو عبادة الله الواحد الأحد.

كما كانت للكعبة عند العرب العديد من الفضائل والمنزلة لذلك لم ينقطع عن الطواف بالكعبة ليلاً ولا نهاراً إلى يومنا هذا.

وقد جعل الله تبارك وتعالى الكعبة خامس خمسة عشرة بيتاً ففي كل واحدة من السموات السبع كعبة يطوف حولها أهل كل سماء منها وكذلك في كل أرض من الأرضين السبع كعبة يطوف حولها أهل كل أرض منهن وهي أوسط هذه الكعاب.

ومن فضل الكعبة أن الطيور بأنواعها والطائرات وغيرها لا تمر من فوق الكعبة وإذا ارادت عبورها مرت من حول الكعبة وهذا يشبه طوافها مثل الإنسان ومن فضل الكعبة أن الله عز وجل رفعها إلى السماء في زمن طوفان سيدنا نوح عليه السلام وقيل أن الكعبة كانت سفينة سيدنا نوح عليه السلام كانت تطوف حول مكان الكعبة في زمن الطوفان.

ومن فضل هذا البيت أنه لم يثبت في تاريخ الكعبة أن أحد من الجبارين قد نسب هذا البيت إلى نفسه . بل ظل بفضل الله عز وجل ينسب إلى الله عز وجل [بيت الله]

كما أن من أراد الكعبة بسوء أهلكه الله عز وجل مثلما شهد التاريخ بما حدث [لأبرهة الأشرم]وأفياله وجيشه.

ولذلك نحمد الله عز وجل الذي لا يحمد أحد سواه على أن هداني لأن أكتب في هذا الموضوع تحت عنوان «تاريخ الكعبة» والتي تحدثت فيه عن. أسماء مكة والكعبة. وفضل الكعبة عند الله عز وجل. وعند العرب وتاريخ بناء وتجديد الكعبة على مر العصور وكسوة الكعبة. وتحدثنا وعن بئر زمزم. ومفاتيح الكعبة والصحاف والمعلقات التي علقتها العرب فيها وتحويل القبلة لسيدنا محمد ﷺ وبناء سيدنا إبراهيم للكعبة ودعائه لها وكذلك الكعبة في الجاهلية وفي زمن الطوفان وتخريب الكعبة في آخر الزمان وفضل الحجر الأسود وكذلك فضل مقام سيدنا إبراهيم عليه السلام. والأشهر الحرم ودعاء سيدنا محمد ﷺ للكعبة والعديد من الأماكن المقدسة التي يمكن زيارتها من المقدسات الموجودة حول الكعبة والتي يمكن زيارتها خلال أداء العمرة أو فريضة الحج. هذا بالإضافة إلى العديد من الموضوعات الأخرى.

وأسأل الله عز وجل أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجه الله عز وجل. وأن يجعل لي به أجراً عنده عز وجل وأن يغفر لي كل خطأ وسهو وأن يرزقنا حج البيت الحرام.

والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ.

جهاد محمد حجاج

أسماء مكة وفضلها

من أسماؤها:[مكوريا – أم القرى – البلد الأمين – بكة – مكة] .

١ - ماكوريا

ذكر في العديد من الكتب أسماء مكة قديماً. كما ذكر لها القرآن الكريم العديد من الأسماء ومن الأسماء التي ذكرت في كتب التاريخ القديم (ماكوريا) وقد ذكر بطليموس المؤرخ الإغريقي هذا الاسم عن مكة في العديد من أعماله. وذكر أن معنى هذا الاسم أنه (مقدس) كما ذكر المؤرخ اليوناني القديم [بروكمان] أن اسم مكة هو مشتق من كلمة (مكرب) أو مقرب وذكر أيضاً أنها مشتاقة من كلمة (مك) البابلية كما ذكر الإمام فخر الدين الرازي في كتابه مفاتيح الغيب أن كلمة مكة. معناها البيت الأوسط الذي يتوسط العالم. كما ذكر أن جميع الينابيع المائية التي تنبع في بقاع الأرض المختلفة تنبع من تحت مكة.

٢ - أم القرى [(١)]

ورد ذكر مكة في القرآن الكريم به العديد من الأسماء منها (أم القرى) وذلك لقول الله تعالى :﴿ لِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا ﴾ [(٢)]

وذلك لأنها كما ذكر عنها أنها أقدم قرى الجزيرة العربية وأعظمها على الإطلاق. كما أن جميع أهل قرى العالم كانوا يلجأون إليها لنيل الرحمة والرضا من الله عز وجل ومازال ذلك إلى يومنا هذا لأنها البلد الذي ولد فيها رسول الله ﷺ. وأنها مقصد الناس لأداء الفرائض والمناسك.

٣ - البلد الأمين

كما ورد أن مكة من أسماؤها البلد الأمين لقول الله تعالى: ﴿ وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ ۝١ وَطُورِ سِينِينَ ۝٢ وَهَٰذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ ﴾ [(٣)]

---

(١) تفسير فخر الدين الرازي ٣٥١ م ٤ .   (٢) الشورى: ٧ .

(٣) التين ١ : ٣ .

وقد سميت بذلك لأن أهلها كانوا يتقاتلون طوال العام ثم فرض الله عليهم الأشهر الحرم فمن دخلها من الناس في هذه الأشهر الحرم كان في أمان من الله من قتال القبائل العربية. وأن جميع من فيها في أمان إلى يوم الدين من الدجال وكان أعظم تعظيم لها هو تعظيم الله عز وجل عندما أقسم بها .

لقول الله تعالى: ﴿ لا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ ﴾ (١).

ولقول الله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا ﴾ (٢).

ولقول الله تعالى على لسان سيدنا إبراهيم عليه السلام: ﴿ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا ﴾ (٣).

٤ - بكة (٤)

وقد سميت مكة (ببكة) وذلك لقول الله تعالى:

﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ ﴾ (٥)

وقيل أنها سميت بذلك لأن رسول الله ﷺ قد بكى فيها حزناً على قسوة قلوب أهلها عندما دعاهم إلى الإسلام.

وقيل سميت بذلك لأن الله يبُك رؤس الجبارين الذين يريدونها بسوء أي يهلكهم.

٥ - الأسماء الأخرى

كما عرفت مكة بالعديد من الأسماء الأخرى منها:

(البلدة) ومنها مهبط الوحي لنزول سيدنا جبريل عليه السلام على سيدنا محمد ﷺ بغار (حراء) وهوالغار الذي كان تعبد فيه سيدنا محمد ﷺ قبل بعثته وهو غار بجبل النور أحد جبال مكة المكرمة ومن أسماء مكة الأخرى (البساسة - أم رحم - البشاشة - الحاطمة - كويساء) (٦).

---

(١) البلد: ١ .

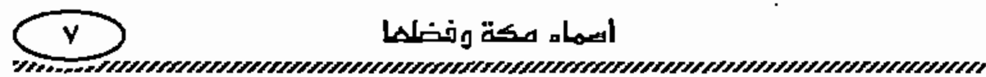
(٢) العنكبوت: ٦٧ .

(٣) البقرة: ١٢٦ .

(٤) تفسير فخر الدين الرازي ٣٥١ م ٤ .

(٥) آل عمران: ٩٦ .

(٦) تفسير فخر الدين الرازي ص ١٩ م ٣ .



٦ - فضل مكة

لهذه البلد فضل كبير عند الله عز وجل. وعند رسول الله ﷺ وذلك لما ورد ذكرها في العديد من آيات القرآن الكريم ولما قال عنها رسول الله ﷺ:

«إنك أحب البلاد إلى الله. وأحب البلاد إليَّ ولولا أن أهلك أخرجوني ما خرجت» وهذا دليل كبير على مكانتها عند رسول الله ﷺ. كما جعل الله عز وجل لها مكانة كبيرة في قلوب جميع الخلائق. فالقلوب تتلهف إلى زيارتها قبل أن تراها حباً في رسول الله ﷺ وحباً فيها. ومن قول السيدة عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها ما يؤكد قول رسول الله ﷺ على رفعة مكانتها عند رسول الله ﷺ بقوله: «لولا الهجرة لسكنت مكة. فإني لم أر السماء أقرب إلى الأرض منها بمكة ولم يطمئن قلبي إلا بمكة قط. ولم أر القمر بمكان أحسن منه إلا بمكة».

ومن فضل مكة قول رسول الله ﷺ:

«إنها لم تحل لأحد قبلي ولا لأحد من بعدي. وما أحلت لي إلا ساعة من نهار» .

وهذا دليل على فضل مكة عند الله وعند رسوله. لأنها البلد الذي ولد بها وعاش بها.

ومن فضل مكة أن الله عز وجل حرم على المسيخ الدجال [١] دخولها. وكذلك دخول المدينة المنورة والقدس بفلسطين وقيل مدينة الطور بسيناء بجمهورية مصر العربية.

وذلك لقول رسول الله ﷺ الذي سنذكره في فضل الكعبة في الفصل التالي إن شاء الله عز وجل.

وقد أكد الله عز وجل على فضل مكة في القرآن الكريم في الكثير من الآيات نذكر منها:

﴿ لا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ ﴾ [٢].

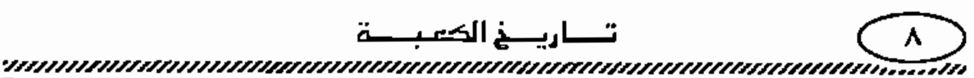
ولقول الله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجْبَى إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ ﴾ [٣] .

وعن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ يوم فتح مكة: «إن هذا البلد حرمه الله لا يعضد شوكه، ولا ينفرد صيده، ولا يلتقط لقطته إلا من عرفها» [٤].

(١) تفسير فخر الدين الرازي ص ٤٠٥ م ٢. (٢) البلد: ١ .

(٣) القصص: ٥٧ .

(٤) رواه البخاري (١٥٨٧) فتح الباري ص ٥٣٦ م ٣ .



أسماء الكعبة

إن تعظيم العرب للكعبة جعلهم يطلقون عليها العديد من الأسماء . كما ذكرها القرآن الكريم بالعديد من الأسماء ومن أسماء الكعبة نذكر : ـ

[البيت العتيق – القبلة – الدوار – الحماء – أم رحم – صلاح – كوثي – الباسة – البيت الحرام] (١)

١ - صلاح

سميت الكعبة بصلاح لأن من زارها يعاهد الله عز وجل على صلاح أمره ويتقبل الله بالحج التوبة ومغفرة الذنوب.

٢ - البيت الحرام (٢)

ورد ذكر الكعبة في القرآن الكريم بالبيت الحرام. وذلك لقول الله تعالى: ﴿ جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ ﴾ (٣) لأن الله قد حرم فيها القتل وسفك الدماء لذلك سميت البيت الحرم وسميت مكة بهذا الاسم البلد الحرام كما حرمها الله على الجبارين مثل الدجال وقيل سميت بالبلد الحرام لأن الله عز وجل قد حرم عليها الطوفان ورفعها في زمن الطوفان إلى السماء.

وقيل سميت بالبيت الحرام لأن القاصدين زيارتها كانوا يحرمون على أنفسهم كثير من الأشياء التي تحل لهم في بلادهم، وقد حرم الله منها القتل، والصيد في الحرم.

وقيل سميت بالبيت الحرام لأن العرب في الجاهلية كانوا يذبحون للكعبة ويلطخون جدران الكعبة بدماء ذبائحهم (٤) تقرباً لها. فحرم الله هذه الأفعال عليهم.

---

(٤) أخبار مكة ١٨٩ .

(٢) تفسير فخر الدين الرازي ٣٥٢ م ٤ .

(٣) المائدة: ٩٧ .

(٤) تفسير فخر الدين الرازي ٣٥٩ م ٩ .

وقد جعل الله عز وجل هذا المكان أمن وأمان ومحل احترام لدعاء سيدنا إبراهيم عليه السلام لقول الله عز وجل:

﴿ رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴾ (١).

٣ - البيت العتيق (٢)

سميت الكعبة بالبيت العتيق لأنه أقدم البيوت على الأرض ولأن الله أعتقه أي حفظه من الطوفان كما أن الله عز وجل أعتقه من الجبارين والظالمين. فلم يستطيع أحد أن ينال من الكعبة ولا من المقيمين حولها وقد ورد ذكرها بالبيت العتيق في القرآن الكريم وذلك لقول الله تعالى:

﴿ ثُمَّ مَحِلُّهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴾ (٣).

وقيل في ذلك لأن من زارها وعاهد الله على الطاعة أعتقه الله عز وجل من النار. كما يطلق عليها بيت الأرض المعمور لأنها معمرة بالطواف ليلاً ونهاراً صيفاً وشتاءً لا ينقطع عنها الطواف ساعة من ليل أو نهار.

٤ - الحماء

سميت الكعبة بالحماء لأن الكثيرين كان يلجؤون إليها ويحتمون حولها من الظالمين والجبارين.

٥ - القبلة

من المعروف أن الكعبة تسمى القبلة لأنها قبلة المسلمين في جميع بقاع الأرض. وأن الكعبة هي قبلة أهل مكة. والحرم ومكة هي قبلة العالم أما من أراد الصلاة داخل القبلة إذا أتيح له ذلك فإنه يصلي أي جهة شاء لأن الكعبة من الداخل ليس لها قبلة.

---

(١) إبراهيم: ٣٧ .

(٢) تفسير الرازي ص ٢٤٥ م ٤ .

(٣) الحج: ٣٣ .

فضل الكعبة

لقد فضل الله عز وجل الكعبة بفضائل عديدة وكثيرة نذكر منها أنها قبلة المسلمين في الصلاة لأنها مركز الأرض. كما فضلها الله عز وجل بأن ذكر في العديد من آيات القرآن الكريم فضائل الكعبة ولكن سنذكر بعض فضائلها ونذكر منها على سبيل الذكر.

١ - تحريمها على المسيخ الدجال [١]

لقد فضل الله عز وجل البلد الحرام لوجود الكعبة فيها ولما فيها من المقدسات وحرمها على الدجال وحرم عليه دخول مكة لقول رسول الله ﷺ:

في الحديث الشريف الذي رواه مسلم: «ليس من بلد إلا سيطؤه الدجال إلا مكة والمدينة» وزاد أبو جعفر الطبري وهو من المشهود لهم بالحديث.

عن عبد الله بن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «إلا الكعبة وبيت المقدس وجبل الطور» وفي رواية فلا يبقى له موضع إلا ويأخذه غير مكة والمدينة وبيت المقدس وجبل الطور فإن الملائكة تطرده من هذا الموضع.

٢ - الشوق إليها

ومن فضل الكعبة أن الله عز وجل قذف في قلوب المؤمنين حب الكعبة والشوق إلى زيارتها سواء كانوا فقراء أو أغنياء وهذا تقديس لها لأنها أشرف بقاع الأرض جميعاً فلا يوجد بناء على الأرض أشرف من الكعبة.

٣ - طواف الطيور [٢]

يذكر أن الطيور الموجودة بالحرم تطوف بالكعبة. كما تطوف الناس فإذا أراد أحد هذه الطيور عبور الكعبة فلا يستطيع بل يمر من حولها وكأنه كلف بالطواف مثل البشر.

---

(١) تفسير الرازي ٤٠٥ م ٢.

(٢) تفسير الرازي ٣٤٨ م ٤ .

كما أن هذه الطيور الموجودة بالحرم لا تبول داخل الحرم ولا حول الكعبة وإذا أرادت ذلك خرجت خارج الحرم لقضاء حاجتها وهذا تقديساً للكعبة.

٤ - عدم الأذى حول الكعبة

ومن فضل الكعبة أن الطيور الجارحة مثل النسور وغيرها من الطيور لا تعتدي على شيء حول الكعبة ولا تفترس غيرها بهذا المكان المبارك مهما بلغ بها شدة الجوع [١].

٥ - عدم الاعتداء على الكعبة

لقد تعرض العديد من القصور والمعابد الموجودة على الأرض إلى الاعتداء عليها وهدمها مثلما هدم بختنصر البابلي بيت المقدس من قبل ولم يستطيع أحد مهما كان جبورته وظلمه أن يعتدي على الكعبة أو يهدمها وعلى سبيل المثال أبرهة الأشرم وغيره وكذلك لم يستطيع أحد من هؤلاء الجبارين أن ينسب الكعبة إلى نفسه بل ظلت كما هي بيت الله إلى أن تقوم الساعة.

وعندما حاول أبرهة الاعتداء عليها وهدمها وكلما وجه إليها الفيل برك هذا الفيل في الأرض لأن الله عز وجل حرم على جميع المخلوقات الاعتداء على الكعبة.

٦ - رفعها إلى السماء زمن الطوفان [٢]

تذكر كتب التراث الإسلامي أن الله عز وجل رفع الكعبة إلى السماء في زمن طوفان سيدنا نوح عليه السلام وحفظها من هذا الطوفان تكريماً للكعبة.

٧ - بناء الكعبة

ذكر الله عز وجل وضع الكعبة في الأرض ولم يذكر وضع المسجد الأقصى في الأرض. كما أن الذي أمره الله عز وجل بأن يرفع قواعد البيت الحرام هو سيدنا إبراهيم عليه السلام وهو أبو الأنبياء عليهم السلام أجمعين أما الذين بنى المسجد الأقصى هو سيدنا يعقوب عليه السلام، وسيدنا إبراهيم عليه السلام مفضل على سيدنا يعقوب عليه السلام.

---

(١) تفسير الرازي ٣٤٨ م ٤ .

(٢) تفسير الرازي ٦٣٨ م ٤ .

٨ - اختفاء حصى الجمار [١]

برغم كثرة عدد الحجاج التي تحج إلى البيت الحرام ورغم عدد الجمار التي يرجم بها إبليس اللعين. إلا أن هذه الجمار لا يرى لها أثر وكذلك المكان التي تأخذ منه . ورغم مرور الاف السنين على ذلك منذ عهد سيدنا إبراهيم عليه السلام.

٩ - مضاعفة الثواب

إن الله عز وجل يضاعف لعباده الثواب على أعمال الطاعات التي تقام عند البيت الحرام وذلك لقول رسول الله ﷺ: «فضل المسجد الحرام على مسجدي هذا كفضل مسجدي هذا على سائر المساجد»

ولقول رسول الله ﷺ: «الصلاة في مسجدي افضل بألف صلاة فيما سواه».

١٠ - الله جعلها هدى للعالمين

لقد جعل الله عز وجل البيت الحرام هدى للعالمين وأمن للخائف ومن أراد هذا البيت بسوء عجل الله عز وجل له العذاب وأنزل عليه البلاء كما أنزل الطير الأبابيل بحجارة من سجيل على أبرهة وجيشه من قبل.

ومن فضل الكعبة قول رسول الله ﷺ:

«من صبر على حر مكة ساعةمن نهار تباعدت عنه نيران جهنم يوم القيامة مائتي عام».

وقدجعل الله في حج البيت الحرام العديد من الفوائد والمنافع للناس والثواب وذلك لقول الله تعالى: ﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا ﴾ [٢].

ومن فضائل الكعبة أن الله عز وجل جعل هذا البيت ليكون استجابة لآدم عندما هبط إلى الأرض استوحش آدم وحدته في الأرض لأنه كان يسمع أصوات الملائكة وهي تطوف بالبيت المعمور في السماء السابعة. فدعا ربه أن يجعل في الأرض بيتاً تطوف حوله الناس كما تطوف الملائكة بالبيت المعمور.

---

(١) تفسير فخر الدين الرازي ٣٤٨ م ٤ .

(٢) البقرة: ١٢٥ .

لقول الله عز وجل لسيدنا آدم عليه السلام:

«إني سأجعل فيها ذريتك يسبحونني ويحمدونني ويقدسونني وسأجعل فيها بيتاً أرفعه يذكرني فيه الناس وأخصه بكرامتي وأثره على بيوت الأرض كلها اسميه باسمي وأعظمه بعظمتي وأخصه بحرمتي وأجعله أحق البيوت كلها وأولاها بذكري وأضعه في البقعة التي اخترتها لنفسي فإني اخترت مكانه يوم خلقت السماوات والأرض وأجعل هذا البيت لك ولمن بعدك حرماً آمناً أحرم بحرمته ما فوقه وماتحته ومن أمن أهله فقد استوجب بذلك أماني ومن أخافهم فقد أخيفه ومن عظم شأنه فقد عظم في عيني ومن تهاون به فقد صغر في عيني. سكانه جيراني وعماره وفدي وزواره أضيافي أجعله أول بيت وضع للناس وأعمره بأهل السماء والأرض يأتونه أفواجاً شعثاً غبراً يعجون بالتكبير عجاً،ويثجون بالتلبية ثجاً فمن اعتمره لا يريد غيري فقد زارني وضافني ونزل لي وفداً علي فحق علي أن أتحفه بكرامتي. وحق على الكريم أن يكرم وافدوه وأضيافه وزواره وأن يسعف كل واحد منهم بحاجته، تعمره يا آدم ما كنت حياً ثم يعمره من بعدك الأمم والقرون والأنبياء من ولدك أمة بعد أمة. وقرناً بعد قرناً ونبي بعد نبي. حتى ينتهي بعد ذلك إلي نبي من ولدك يقال له محمد ﷺ، وهو خاتم النبيين، فأجعل من سكنه وعمره وحاته أمناً عليهم مادام حياً فإذا أنقلب إلي وجدني قد ادخرت له عندي أجره ويتمكن به من القربة والوسيلة عندي. وأجعل ذكر هذا البيت وشرفه ومجده وسناه وكرامته لنبي من ولدك يكون قبل هذا النبي وهو أبوه يقال له إبراهيم، أرفع له القواعد وأقضي على يديه عمارته وأعلمه شرائعه ومناسكه وأجعله أمة وحدة قانتاً بأمري داعياً إلى سبيلي اجتبيه وأهديه إلى الصراط المستقيم ابتليه فيصبر وأعافيه فيشكر. وأمره فيفعل وينذر لي فيفي ويدعوني فأستجيب لدعوته في ولده وذريته من بعده واشفعه فيهم وأجعل أهل ذلك البيت وولاته وحماته وسقاته وخدامه وخزانه وحجابه يتبدلون ويتغيرون. وأجعل إبراهيم أما ذلك البيت وأهل تلك الشريعة ويأتم به من حضر تلك المواطن من جميع الإنس والجن».

ومن فضائل الكعبة أن الله عز وجل فرض على الناس الحج إليها وجعل فيه منافع والثواب العظيم لمن قام بذلك وذلك لقول الله تعالى: ﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا ﴾.

تاريخ بناء وتجديد الكعبة

قال تعالى: ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ (٢٦) وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴾ [١]

ما خلق الله شيء على الأرض إلا كتب له الزوال حتى الحجارة التي بنيت منها الكعبة المشرفة، فرغم مرور عليها آلاف السنين إلا أنها مازالت موجودة لأن الله قد كتب لها البقاء. ويرسل إليها من يجددها ويعيد بناؤها كلما احتاج الأمر إلى ذلك. فبمرور السنوات قد تم تجديد الكعبة مرات عديدة نذكر من هذه المرات.

١ - البناء الأول كان بأمر من الله عز وجل للملائكة لقول الله تعالى:

﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ﴾ [٢].

٢ - بناء آدم عليه السلام .

٣- بناء شيث بن آدم عليهم السلام .

٤ - بناء سيدنا إبراهيم عليه السلام هو وابنه إسماعيل عليهم السلام .

٥ - بناء العماليق.

٦ - بناء قبائل جرهم.

٧ - بناء قبائل قصي.

٨ - بناء قريش.

٩ - تجديد الكعبة في عهد سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

١٠ - إعادة بناؤها على يد الصحابي الجليل الزبير بن العوام.

١١ - بناء الحجاج بن يوسف الثقفي في عهد الدولة الأموية.

١٢ - بناء السلطان مراد بن السلطان أحمد أحد السلاطين العثمانيين وكان ذلك

---

(١) الرحمن :٢٧ .

(٢) آل عمران: ٩٦ .

عام ١٠٣٩ هـ.

وفيما يلي سنذكر مراحل هذا البناء والتجديد لكل مرحلة من المراحل التجديد.

١ - وضع الكعبة على الماء

تذكر كتب السيرة النبوية أن الله تبارك وتعالى خلق الكعبة المشرفة قبل خلق السماوات والأرض وذلك لما رواه سعيد بن سلام، عن طلحة عن ابن عباس قال: «كان العرش على الماء قبل أن يخلق الله السماوات والأرض وبعث الله تعالى ريحاً هفافة فصفقت الماء فأبرز عن خشفة وهي حجارة انبمثت بالأرض في موضع الكعبة فكأنها غيه ثم دحا الله الأرض من تحتها فمادت ثم [1] مادت فأوتدها الله تعالى الجبال وذلك لقول الله تعالى: ﴿ والأرض بعد ذلك دحاها ﴾ [2].

ولقول الله تعالى: ﴿ والجبال أوتادا ﴾ [3].

وقيل لذلك سميت مكة أم القرى لأنها أول ما خلق الله من القرى.

وعن عثمان بن عبد الرحمن بن هشام، قال خلق الله عز وجل الكعبة قبل أن يخلق أي شيء بألف عام وإن قواعدها في الأرض السابعة [4].

وعن الصحابي الجليل سيدنا عبد الله بن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «أول بقعة وضعت في الأرض هذا البيت ثم مدت منها الأرض».

وقيل: «إن الكعبة قد أنزلها الله عز وجل ياقوتة من السماء مجوفة».

وقد ذكر الإمام أحمد البيهقي في كتابه «شعب الإيمان» قال: عن أبي ذر قال: سألت رسول الله ﷺ أي المساجد وضع على الأرض؟

فقال رسول الله ﷺ: «المسجد الحرام» قلت ثم أي؟ قال: «المسجد الأقصى» قلت كم بينهما: قال: «أربعون سنة» [5].

وذكر الإمام مجاهد قال: خلق الله تعالى البيت الحرام قبل أن يخلق الأرض.

---

(١) أخبار مكة ص ٤ .

(٢) النازعات: ٣٠ .

(٣) النبأ: ٧ .

(٤) أخبار مكة: ص ٥ .

(٥) أخبار مكة ص ٥ .

وجاء في رواية قبل أن يخلق شيئاً بألف عام.

وعن عبد الله بن عمر قال: إن أول بيت وضع على وجه الماء عندما خلق السماوات والأرض. وقد خلقه الله قبلهما بألف عام وكان زبدة بيضاء على الماء ثم دحيت الأرض من تحته.

وقيل كان ياقوتة حمراء وقيل بيضاء [١].

٢ - بناء الملائكة:

عن محمد بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله تعال بعث الملائكة فقال لهم: ابنو لي في الأرض بيتاً على مثال البيت المعمور».

وأمر الله عز وجل كل من في الأرض أن يطوف بهذا البيت. كما يطوف أهل السماء بالبيت المعمور. وكان هذا قبل خلق آدم عليه السلام.

وعن معاذ قال: قال رسول الله ﷺ «إن هذا البيت خامس خمسة عشرة بيتاً سبعة منها في السماء [٢] وسبعة منها في الأرض ولكل بيت منها حرمة كحرمة هذا البيت ولو سقط واحد منها لسقطت جميعاً على بعض وذلك لتعامد هذه البيوت ويطوف أهل كل سماء بالبيت الذي هو في سماؤهم ويطوف أهل كل أرض بالبيت الذي أقامه الله عز وجل لهم».

٣ - بناء آدم عليه السلام

بعد أن أكل آدم من الشجرة التي نهاه الله عز وجل عن الأكل منها وهو في الجنة. حكم الله عز وجل عليه أن يهبط إلى الأرض لما كان منه من معصية أمر الله عز وجل بعد أن أذله الشيطان وسول له الأكل من هذه الشجرة وأنها شجرة الخلد والملك والنعيم الذي لا يزول.

وقيل عندما هبط آدم من الجنة إلى الأرض وبينما هو رأسه في السماء وقدماه في

---

(١) تفسير فخر الدين الرازي ص ٢٦٣ م ١١ .

(٢) أخبار مكة ص ٥ .

الأرض. قال: آدم يا رب مالي لا أسمع أصوات الملائكة ولا أحسهم فقال الله عز وجل: خطيئتك يا آدم وأمر الله سبحانه وتعالى أن تبني الملائكة البيت الحرام (الكعبة) وأمر الله آدم أن يطوف وتذكر الله عز وجل الملائكة عند البيت المعمور. ثم قام آدم يتخطى في الأرض فما وقعت قدماه على مكان في الأرض إلا عمر هذا المكان بإذن الله عز وجل وقيل أن الله كان يطوي له الأرض طياً إلى أن وصل آدم إلى مكة فدله الله على مكان الكعبة فأقام بناؤها من أحجار خمسة من الجبال هي: (جبل البنان – طور سيناء – جبل الجودي – وجبل زيتا – وجبل طود) [1].

وقد عاونت الملائكة سيدنا آدم عليه السلام في نقل الأحجار من هذه الجبال الخمسة وبعد أن انتهى آدم من بناء الكعبة قال:

«يا رب لكن لكل أجير أجره. فقال الله عز وجل: يا آدم طوف بالبيت فطاف آدم وحج. فقال الله عز وجل: يا آدم إني قد غفرت لك ولمن حج هذا البيت من ذريتك»

٤ - بناء شيث بن آدم عليهم السلام [2]

عن سعيد بن سالم قال: لما رفعت الحمية التي عزى الله بها آدم من حلية الجنة حين وضعت له بكة في موضع البيت. وبعد أن مات آدم عليه السلام بنى ابنه شيث الكعبة من الطين والحجارة فلم يزل معمور يعمر هو وأولاده ومن جاء من بعده إلى أن جاء طوفان سيدنا نوح عليه السلام.

وشيث ابن سيدنا آدم عليه السلام هو نبي من أنبياء الله عز ول أنزل الله عليه خمسون كتاباً من بين مائة وخمسون كتباً أنزلها على الرسل والأنبياء عليهم السلام أجمعين.

٥ - رفع سيدنا إبراهيم القواعد

بعد بناء آدم عليه السلام للكعبة اختفيت معالمها فأمر الله عز وجل شيث بن آدم عليه السلام برفع هذه القواعد وإعادة بناء الكعبة المشرفة وبعد بناء شيث للكعبة ظلت

---

(١) الفق الواضح ص ٤١٥ .

(٢) أخبار مكة: ١٧ .

على ما هي عليه إلى أن جاء طوفان سيدنا نوح -عليه السلام -فرفع الله -عز وجل -الكعبة من مكانها إلى السماء وقبل سيدنا إبراهيم خليل الله عليهم السلام أجمعين قد اختفت معالم الكعبة مرة أخرى فأرسل الله عز وجل سيدنا جبريل عليه السلام إلى سيدنا إبراهيم ليخبره بأن الله عز وجل يأمره أن يرفع قواعد البيت الحرام وذلك لقول الله تعالى:

﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾[1].

فكان سيدنا جبريل عليه السلام هو المهندس وسيدنا إبراهيم يقف على الحجر الأسود ليبني وسيدنا إسماعيل عليه السلام يناوله الأحجار وكان بناء سيدنا إبراهيم عليه السلام للكعبة قبل بمئة رسول الله ﷺ سيدنا محمد باثنان وعشرين قرناً من الزمان.

وكان بناء سيدنا إبراهيم عليه السلام للكعبة بعد أن ترك قومه في بلاد أشور وهاجر إلى مدين وبعد أن جاءه الأمر ان يهاجر بزوجته هاجر وابنها إسماعيل عليه السلام وهو طفل رضيع بهذا الوادي وادي مكة دون أنيس أو جليس. وتركهم في رعاية الله عز وجل ودعا بهذا الدعاء:

﴿ رَّبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴾ [2].

وبعد أن ترك سيدنا إبراهيم عليه السلام زوجته هاجر وابنها إسماعيل ولم يكن معهم إلا سقاء به قليل من الماء وجراب به بعض من التمر ومع شدة الحر والعطش الشديد نفذ الماء الذي بحوذت هاجر فأخذت تبحث عن ماء بعد أن انصرف عنها زوجها سيدنا إبراهيم فلم تجد ماء وبدأ البحث عن الماء في كل مكان من فوق وأسفل جبل الصفا وجبل المروة، فلم تجد ولكن الله تبارك وتعالى أراد أن يجعل لها معجزة هي

---

(١) البقرة: ١٢٧ .

(٢) إبراهيم: ٣٧ .

وابنها الرضيع فأمر سيدنا جبريل عليه السلام أن يضرب الأرض بأحد جناحيه فانفجرت عين زمزم من تحت قدم هذا الطفل الرضيع وبهذا الماء الذي جعل الله فيه شفاء للنارس لما شربه له جاءت قبائل جرهم بعد ذلك وعاشت مع هاجر وابنها نبي الله إسماعيل وهو طفل صغير حتى تربى بين أبناء هذه القبيلة وعندما كبر تزوج من بناتها. إلى أن جاء سيدنا إبراهيم عليه السلام الأمر من الله عز وجل ببناء الكعبة ورفع قواعدها. كما ذكرنا من قبل.

وتذكر كتب السيرة أن سيدنا إبراهيم عليه السلام عندما رفع قواعد الكعبة أن ارتفاعها كان تسعة أذرع. وطول الضلع الأول من ناحية الحجر الأسود ٣٢ ذراع والضلع التالي ٢٢ ذراع. والضلع الثالث ٣١ ذراع والضلع الرابع عشرين ذراع[١].

وبعد أن انتهى سيدنا إبراهيم من هذا البناء أمره الله عز وجل أن يؤذن في الناس بالحج فقال سيدنا إبراهيم عليه السلام وكيف اسمعهم فقال الله عز وجل [عليك الأذان وعلينا البلاغ]. وذلك لقول الله تعالى:

﴿وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ [٢].

ويقول سيدنا عبد الله بن عباس أن سيدنا إبراهيم عليه السلام لما أذن للحج ارتفعت له القرى وتواضعت له الجبال فسمع هذا الأذان كل من كتب الله له الحج وهم في أصلاب الآباء وأرحام الأمهات ولبى كل شيء هذا النداء عندما قال سيدنا إبراهيم عليه السلام: (لبيك اللهم لبيك).

٦ - بناء العماليق وجرهم للكعبة

جاء في كتب التاريخ الإسلام أن قبائل العماليق من الذين كان لهم دور كبير في تقديس الكعبة وإعادة بناؤها وتجديدها وقبائل العماليق كانوا يسكنون على ساحل البحر الأحمر وهم ينتسبون إلى سيدهم وهو (عموق) [٣] قيل أن سيد العماليق هذا قد خرج ذات يوم وهو يهتف فيهم ويقول يا قوم لا تبقوا على ما أنتم عليه من الذنوب

---

(١) أخبار مكة ص ١٧ . (٢) الحج: ٢٧ .

(٣) أخبار مكة ص ٤٢ .

والمعاصي فقد أهلك الله من كانوا يفعلون ذلك من قبائل هود وثمود ومن قوم صالح وشعيب. فلا تستخفوا بما تعملون بحرم الله وموضع هذا البيت وإياكم والظلم والإلحاد فيه لأن الله يقطع دابر من يفعل ذلك وإن ظل أمركم على هذا لن تبقى لكم باقية على الأرض فلم يستجيب العماليق لكلام هذا السيد، فأرسل الله عليهم قبائل جرهم هاربين من الفقر والجدب الذي حل بأرضهم بأرض اليمن . وكان سيد قبائل جرهم هو (مضاض بن عمر) [1] فلما وجد في مكة ماء طيب وهو ماء زمزم وعشب أخضر طاب له بها العيش ولمن معه العيش في هذا المكان وظلت جرهم تعيش حول البيت الحرام مع قبائل العماليق وقبائل السميدع. إلى أن سيطرت جرهم على المكان بكل ما فيه إلى أن وصل الأمر إلى أن قبائل جرهم منعت قبائل العماليق من الوصول إلى الماء.

وهنا هتف (عموق) سيد العماليق وقال ألم أقل لكم انتهوا عن الذنوب والمعاصي حتى لا يسلط الله عليكم من هو أكثر منكم قوة فأرسل الله عليكم هؤلاء القوم قوم جرهم. واشتد نفوذ قبائل جرهم إلى أن نزعت السيطرة الكاملة من العماليق على بيت الله الحرام الكعبة المشرفة. وظل الوضع على هذا الحال إلى أن جاء مطر شديد وسيل فانجرف بناء الكعبة بسبب هذا السيل الشديد.

فأعادت قبائل جرهم بناء الكعبة على نفس القواعد التي بني عليها سيدنا إبراهيم الكعبة من قبل.

وظلت جرهم تقدس الكعبة وتعظمها سنوات وسنوات إلى أن تغيرت الأمور وتجرء بعض رجال جرهم وسرق نذور وهدايا الكعبة واستخفوا بها فسلط الله عليهم حية سوداء الظهر تحمي وتحرس هذا البيت أكثر من خمسمائة عام فلا يستطيع أحد أن يقربه أو يعتدي عليه وليس هذا بغريب عن حادثة الفيل.

٧ - بناء قصي بن كلاب للكعبة [2]

كلما مر الزمن وتعاقبت السنوات أرسل الله لهذا البيت الحرام من يرعاه بفضل الله عز وجل. ومن القبائل العربية التي أعادت بناء الكعبة وتجديدها قبائل قصي بن كلاب

(١) أخبار مكة ص ٤٣ .

(٢) أخبار مكة ص ٥٦ .

ومن هذه القبائل قبائل خزاعة وهي بطن من بطون قصي بن كلاب. وقد ظلت خزاعة ترعى هذا البيت أكثر من خمسمائة عام، وترد عن هذا البيت كل ظالم وكل معتدي إلى أن جاءت قبائل قضاعة وكان فيهم (ربيعة بن حرام) [١] وهو من نسل كلاب الذي ملك وبقي من نسله (قصي) وكان لقصي أخت تسمى (زهرة) فتزوجت ربيعة بن حرام.

وهدء الأمر بين هذه القبائل وحمى كل منهم الكعبة وظلت ولاية الكعبة لقصي بن كلاب سنوات وسنوات ولمن جاء من بعده من أولاده وأحفاده إلى أن تسلمت هذه الولاية قبائل عبد الدار بن مناف من أجداد رسول الله ﷺ وقد حاولت بعض القبائل منازعتهم في خدمة البيت ومفاتيحه وسقايته وحجابته والرفادة وغيرها من أعمال بيت الله الحرام.

٨ - بناء قريش للكعبة

كانت لقريش الرعاية والاهتمام بتجديد وإعادة بناء الكعبة لغيرها من قبائل مكة التي سكنت حول البيت الحرام تعظيماً وتقديساً لهذا البيت الحرام فقد ورد في الصحيحين: «أن هذا البلد حرمه الله يوم خلق السماوات والأرض. فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة».

وقد جعل الله في هذا البيت الأمن والأمان والهدى والبركة لمن عاش حوله من الناس.

ويذكر صاحب كتاب البداية والنهاية عن بناء قريش للكعبة أن رسول الله ﷺ كان عمره وقت هذا البناء خمساً وثلاثون سنة [٢]. وأن قبائل قريش بعد هذا البناء قد اختلفوا فيما بنيهم فيمن ينال الشرف من القبائل في وضع الحجر الأسود مكانه. اختلفوا على ذلك وكاد هذا الخلاف يشمل العداوة والقتال بينهم ولكن أحدهم أشار عليهم أن يحتكموا إلى أول من يدخل عليهم فكان أول من دخل عليهم هو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ولم يكن قد أوحي إليه فعرضوا عليه الأمر فأشار عليهم أن يضعوا الحجر الأسود على ثوب وأن ترفع كل قبيلة من أحد جوانب هذا الثوب لينال

(١) أخبار مكة ص ٤٤ .

(٢) البداية والنهاية ص ١٨٧ م ٢ .

الجميع هذا الشرف العظيم، وبهذا هدء الأمر وارتضى الجميع. وقيل أن بناء قريش للكعبة كان بسبب السيل الذي سقط عليها وجرف بناؤها وقد عاهدت قريش الله على الا يدخل بناء الكعبة أي مال حرام. ويذكر أن الحية السوداء التي كانت تحرس الكعبة بعد زمن العماليق وجرهم ذهبت عن حراسة البيت الحرام عندما عزموا على بنائه من المال الحلال.

ويذكر أن قريش قد وزعت بناء الكعبة على قبائلها فكان جانب الباب على بني عبد مناف وزهرة وما بين الركن الأسود والركن اليماني لبني مخزوم وظهر الكعبة لبني سهم وبني جمح. وشق الحجر لبني عبد الدار بن بن قصي ولبني أسد وبني عبد العزى ولبني عدي بن كعب وكان الحكام من نصيب بني عدي وبني كعب.

وقد بدء هدم الكعبة لإعادة بناؤها (الوليد بن المغيرة) وهو يقول:

(اللهم لم ترع إنا لا نريد إلا خيراً) ثم بدء بهدم الركنين وأخذ الناس يترقبونه هذه الليلة وماذا سيحدث له بسبب هدمه للكعبة لأنه لو أصيب بشيء ردوه إلى مكان من الهدم وإن لم يصاب بشيء واصلوا الهدم وإعادة بناؤها من جديد.

وقد اقتصرت قريش في بناء الكعبة عن قواعد سيدنا إبراهيم عليه السلام[1] وقد وجدت قريش عند إعادة بناء الكعبة فيها كتاباً مكتوب باللغة السريانية فلم يعرفوا ما فيه فذهبوا إلى رجل ممن لديه علم باللغة السريانية فقرأه لهم فإذا به مكتوب فيه:

«أنا الله ذو بكة، يوم خلقت السماوات والأرض. وصورت الشمس والقمر وحففتهما بسبع أملاك حنفاء لا تزول حتى يزول أخشباها»

وقيل أن هذا الكتاب جاء فيه «أن من يزرع خيراً يحصد خيراً. ومن يزرع شراً يحصد ندامة»

وذكر أن الكعبة قد وجد فيها ثلاث صحف.

مكتوب في الأولى:

«إني أنا الله ذو بكة صنعتها يوم صنعت السماوات والأرض والشمس والقمر وحفظتها بسبع أملاك حنفاء وباركت لأهلها في اللحم واللبن».

(١) فتح الباري ص ٥٢٧ م ٣ .

...كة الثانية مكتوب:

... الله ذو بكة خلقت الرحم وشققت لها اسم من اسمي فمن وصلها وصلته ...طعها قطعته».

ومكتوب في الصحيفة الثالثة:

«إني أنا الله ذو بكة، خلقت الخير والشر وقدرته. فطوبى لمن أجريت الخير على يديه وويل لمن أجريت الشر على يديه».

٩ - الكعبة في عهد الخلفاء الراشدين

لقد اهتم رسول الله ﷺ بتوسيع المسجد الحرام بعدما زاد عدد المسلمين ودخول الناس في دين الله أفواجاً. كما اهتم به الخلفاء الراشدين المهديين من بعد رسول الله ﷺ في عهد سيدناأبي بكر الصديق وسيدنا عمر بن الخطاب وقد زاد سيدنا عثمان بن عفان في المسجد الحرام وقام بتوسيعه ليسع المسلمين وكان ذلك في العام التاسع والعشرين من هجرة رسول الله ﷺ واشترى بعض البيوت الملاصقة للبيت الحرام من أصحابها وقام البيت الحرام على الأعمدة وبناه من حجارة منقوشة وجعل طول المسجد الحرام عند تجديده له بطول مائة وستين ذراع. وعرضه مائة وخمسين ذراع. وسقفه بالساج وكانت الزيادة من جهة القبلة وجعل له العديد من الأبواب كما كان في عهد الخلفاء الذين سبقوه سيدنا أبو بكر وسيدنا عمر رضي الله عنهم أجمعين.

١٠ - تجديد عبد الله بن الزبير للكعبة ٦٣ هـ [1]

كان العداء بين يزيد بن معاوية وعبد الله بن الزبير بن العوام شديد. وبعد أن اشتد حصار ابن معاوية لعبد الله بن الزبير عند الكعبة نصر الله عبد الله بن الزبير على يزيد بن معاوية. وقد أدى هذا الحصار إلى تصدع بعض جدران وجوانب الكعبة لأنها رميت بالمنجنيق فتصدعت.

مما جعل عبد الله بن الزبير يعيد تجديد وبناء الكعبة. وقد ظل هذا التجديد عشرة سنوات وقيل أن بناء الزبير للكعبة كان بسبب أنه سمع رسول الله يقول لسيدة عائشة

(١) أخبار مكة ص ٣٨ .

أن قريش أنقصت من بناء الكعبة عن بناء سيدنا إبراهيم عليه الـ

١١ - بناء الحجاج الثقفي للكعبة ٧٣ هـ [٢]

بعد أن استمرت الحرب بين عبد الله بن الزبير وبني أمية بقيادة الحج

الثقفي تمكن الحجاج من هزيمة عبد الله بن الزبير وقتله وعلق الحجاج جث

ابن الزبير مصلوب عند المدخل ثم أرسل إلى الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان بما فعله مع عبد الله بن الزبير بن العوام فرد عبد الملك بن مروان على الحجاج بن يوسف قائلاً: [أن يهدم ما بناه عبد الله بن الزبير من بناء الكعبة] لأنه ذكر له في رسالته أن عبد الله بن الزبير قد زاد في مساحة بناء الكعبة. فهدم الحجاج ما بناه عبد الله بن الزبير بن العوام. وقيل أنه بناها على ما كانت عليه في عهد رسول الله ﷺ وأن يغلق الباب الآخر لأن عبد الله بن الزبير قد جعل للكعبة بابان. وتذكر كتب التاريخ الأموي أن الحجاج قام بهدم الجدار المواجه للحجر الأسود فقط لأنه هو الذي كانت به زيادة وأن الحوائط الثلاث للكعبة بقيت كما هي.

وقد اختلف الناس في هذه الزيادة خصوصاً في عهد الخليفة العباسي هارون الرشيد فمنهم من قال أن الكعبة بناؤها زائد ومنهم من قال بناؤها ناقص وعزم الناس بمضهم على إعادة بناؤها ولكن الإمام مالك أشار عليهم أن يبقى بناء الكعبة كما هو حتى لا تظل الكعبة ملعبة لكل من شاء أن يزيد عليها أو أن ينقص منها.

١٢ - بناء الوليد بن عبد الملك ٨٦ - ٩٦ هـ

اهتم الوليد بن عبد الملك مثل غيره من خلفاء بني أمية بتجديد الكعبة كغيره من المسلمين في بقاع الأرض. فقام الوليد بن عبد الملك بتزين مدخلها بالرخام الأبيض والأخضر والأحمر وكذلك الأرضيات المحيطة بالكعبة.

١٣ - الكعبة في زمن المتوكل - ١٦١ هـ

نالت الكعبة المشرفة رعاية كبيرة من خلفاء الدولة العباسية ومن هؤلاء الخلفاء

---

(١) فتح الباري ص ٥٢٣ م ٣.

(٢) المحمل والحج ص ١٧٤ .

الخليفة العباسي. المتوكل على الله أبي جعفر المعتصم فقد قام بتزين الحيطان والسقف بالذهب وكسى أعمدة الكعبة الداخلية بالحرير.

١٤ - الكعبة في عصور أخرى

شهدت الكعبة العديد من التجديد في العديد من العصور فقد أصلح الركن اليماني لها عام ٤٠٧ هـ وقد ذكر ابن الأثير أن الأشرف (برسباي) جددها عام ٨١٤ هـ وكذلك السلطان الظاهر سلطان مصر الذي جدد الكعبة عام ٨٤٣ هـ[1].

١٥ - الكعبة في عهد العثمانيين - ١٠٣٩ هـ

لم يكن العثمانيون أقل من غيرهم اهتماماً بالكعبة فقد اهتموا بها جميعاً وكان أكثر هؤلاء العثمانيون اهتماماً بالكعبة السلطان (مراد بن السلطان أحمد) خصوصاً بعدما أدت السيول إلى دخول الماء بداخلها وهدم البيوت المجاورة للكعبة فارسل أمير مكة في هذا الوقت إلى السلطان مراد العثماني يستعين به في إعادة بناء الكعبة فأرسل السلطان مراد الأمير (محمد الألباني) على رأس وفد مصري معه كل ما تحتاج الكعبة إليه في البناء من أموال وأخشاب وغيرها. فأحاط الكعبة بسياج من الخشب وجعل الناس يطوفون حول الكعبة من خارج هذا السياج لأن ذلك كان قرب موسم الحج وقد فعل ذلك عبد الله بن الزبير أثناء تجديده للكعبة. ولكن أثناء إعادة بناء الكعبة انهدم الركن الغربي ولم يبقى سوى ركن الحجر الأسود فهدموه وأقاموا بناء الكعبة من جديد وقد استمر هذا البناء ستة أشهر وقد استخدموا نفس الحجارة التي سبق لعبد الله بن الزبير أن بنى بها الكعبة واستبدلوا التالف منها بأحجار سليمة تليق بالكعبة.

وأثناء البناء تصدع الحجر الأسود فأحاطوه بسيور من الفضة.

وفي هذا البناء قد أرسلت مصر بجميع النفقات وقد سجل ذلك بمحضر رسمي أعيد إلى السلطان مراد بن أحمد العثماني سلطان مصر في هذا الوقت وهكذا مازالت الكعبة المشرفة تنال الرعاية إلى يومنا هذا من جميع المسلمين في بقاع الأرض وخصوصاً آل سعود بالمملكة العربية السعودية الذين يجددون كل عام العديد من التجديدات بالحرم المكي الشريف وكذلك الحرم النبوي رضي الله عنهم.

---

(١) المحمل والحج ص ١٧٦ .

كسوة الكعبة

١ - أول من كسى الكعبة:

يذكر أن بناء الكعبة في العهود الأولى كان غير مسقوف منذ أن بناها سيدنا إبراهيم عليه السلام إلى أن مر بها ملك يسمى (مالك بن عجلان) (١) فعندما مر بالكعبة وحدثته العرب عن فضل هذا البيت عزم هذا الملك على كسائها فكساها بالخصيف وهو (حصير الخوص) من النخيل . ثم رأى في منامه أنه كسى الكعبة المشرفة أحسن من ذلك فعاد وكساها الأنطاع وهو البسط من الجلد. ثم رأى أنه كساها أفضل من ذلك فعاد وكساها الوصائل وهي ثياب يمانية كانت تنسب إلى أحد قبائل اليمن قبيلة (همدان) ومن هنا توالت كسوة الكعبة على مر العصور المختلفة إلى يومنا هذا.

وقيل ان أول من كسى الكعبة هو (تبُع بن كرب أسعد) (٢) وكان ذلك في عصور الجاهلية الأولى قبل بعثة رسول الله ﷺ .

٢ - وصف الكسوة:

اختلف شكل الكسوة من عصر إلى عصر حسب تقديس أهل هذا العصر للكعبة أما المعروف عن كسوة المسلمين للكعبة فكانت عبارة عن:

ثمانية استار، أو ثمانية أحمال من الحرير الأسود المطرز بالكتان. وكانت هذه الكسوة تتكون من ستة أثواب طول كل ثوب منها ٢٦ ذراعاً

وعرضه ٩٠ ذراعاً ولكل حمل من هذه الأحمال حزام وهو (الرباط) وكان طول هذا الحزام ١٢ ذراعاً بالإضافة إلى:

١ - ستارب باب الكعبة المشرفة وكان يسمى البرقع. وكان يزخرف بالذهب الخالص.

٢ - كسوة مقام سيدنا إبراهيم عليه السلام

---

(١) لبيك ص ٧٠ .

(٢) لبيك ص ١٧٣ .

٣ - ستارب باب المقصورة.

٤ - ستارب باب التوبة.

٥ - ستار باب المنبر.

٦ - وكيس المفاتيح.

صناعة الكسوة:

١ - كانت كسوة الكعبة تصنع من الأوقاف الخيرية المصرية في العديد من العصور المختلفة خصوصاً في عهد الملك الصالح إسماعيل بن الملك الناصر بن قلاون. وكانت هذه الأوقاف عبارة عن ثلاث قرى تابعة لمحافظة القليوبية بجمهورية مصر العربية وهي قرى (بوس - أبو الغيط - سندبيس) وظلت هذه الكسوة تصنع من هذه الأوقاف حتى عام ٧٥٠ هـ.

٢ - أما في عهد السلطان سليمان خان ٩٢٦ - ٩٧٤ هـ فقد اشترى هذا السلطان سبع قرى من الشرقية وأوقف عائدها لصناعة كسوة الكعبة المشرفة ومصاريف الحرم والحجرة النبوية الشريفة بالمدينة المنورة. وكانت هذه القرى السبع هي:

(منايل - كوم رحان - بجام - منية النصارى - بطاليا - سكة - قريش الحجر - برو بجخه) وكان عائد هذه القرى يقدر ١٣٦٥ ألف درهم من الفضة.

٣ - القرن الثالث عشر :

أما كسوة الكعبة في القرن الثالث عشر الهجري تم وقف صناعة الكسوة من هذه الأوقاف وأصبحت الكسوة تصنع من الميزانية العامة لجمهورية مصر العربية وكانت في هذا الوقت تصنع من أرقى أنواع الأقمشة المصرية وقيل كان هذا القماش في هذا الوقت يسمى (جلد القباطي).

وقد تعهدت الحكومة المصرية بهذه الكسوة اقتداء برسول الله ﷺ الذي كسى الكعبة المشرفة بثمانية أستار وكانت تصنع بعضها فوق بعض. وكذلك اهتمام الخلفاء الراشدين من بعد رسول الله ﷺ بكسوة الكعبة. وللعلم كانت تستبدل هذه الكسوة كل عام بغيرها وكانت الكسوة السابقة توزع على زوار بيت الله الحرام على سبيل التبرك بها وظل وضع

الكسوة على هذا الوضع إلى أن جاء خلفاء الدولة العباسية وخصوصاً في عهد الخليفة المهدي والمنصور وقد عرف عن قرية (تنيس) إحدى قرى محافظة دمياط بجمهورية مصر العربية أن أهلها كانوا المشهورين بصناعة كسوة الكعبة المشرفة. ثم خصصت لهذه الكسوة مصلحة عرفت في مصر بهيئة صناعة كسوة الكعبة المشرفة.

٣ - الكسوة في عهد العثمانيين [١]

كان السلطان سليم الأول من أشهر السلاطين العثمانيون اهتماماً بكسوة الكعبة المشرفة فقد أرسلت كسوة الكعبة في عهده عام ٩٢٣ هـ كما كان يرسل كسوة لضريح رسول الله ﷺ بالمدينة المنورة كل عام. ويرسل معها البخور ومصاريف الحرم النبوي وظل على ذلك إلى عام ١١١٨ هـ وقد أوقف العديد من القرى المصرية لهذا الفرض وكذلك تولى الانفاق على باقي المقدسات الدينية بمكة والمدينة.

٤ - الكسوة في عهد محمد علي باشا [٢]

لم يكن محمد علي باشا أقل ممن سبقوه اهتماماً بالكعبة وكسوة بل كان أكثرهم رعاية لبيت الله الحرام والإنفاق عليه وقد حرص أبنائه وخلفائه من بعده على هذا الأمر وخصوصاً الخديويون منهم:عباس حلمي الأول، وفؤاد وظلت هذه الرعاية إلى أن حدث خلاف بين الملك عبد العزيز آسعود وبين الحكومة المصرية عام ١٣٤٣هـ – ١٩٢٤م فرد الملك عبد العزيز الكسوة المصرية عام ١٣٤٥هـ وبعد زوال سبب هذا الخلاف عام ١٣٥٥هـ أرسل الملك فاروق الكسوة المصرية فوضعت على الكعبة المشرفة ثم تولت المملكة العربية السعودية صناعة الكسوة في وقتنا هذا.

٥ - المحمل:

عندما تعهد أولي الأمر في مصر صناعة كسوة الكعبة المشرفة وإرسالها إلى مكة كانت هذه الكسوة يذهب بها الرجال على الإبل التي تحملها وكان ذلك يسمى بالمحمل وكان هذا المحمل يبدأ في الخروج إلى مكة من أمام مسجد الإمام الحسين بن علي بن

---

(١) الحج والمحمل ص ٢٥٠ .

(٢) المحمل الحج ص ٢٦١ .

أبي طالب إمام الشهداء رضي الله عنهم.

وقد اعتداد الأثرياء من أهل مصر إرسال النقود للإنفاق على الكعبة والحرم مع رئيس هذا المحمل.

ويذكر أن أول من تبع هذا النظام هو خلفاء الدولة العباسية في العراق وخلفاؤهم في اليمن.

أما المحمل المصري فقد كانت له مكانة كبيرة في نفوس المصريين جميعاً خصوصاً في عهد الدولة الأيوبية.

وكانت الإبل التي تحمل هذه الكسوة ومتاع رجال المحمل حوالي عشرين من الإبل وكان لهم مقر خاص بهم [ببولاق] [1] بالقاهرة بجوار ضريح مسجد سيدي سعيد ببولاق، وكانت الحكومة المصرية تقوم بشراء [جمل] ويسمى هذا الجمل بشيخ الإبل ويذبح هذا الجمل قبل خروج المحمل من القاهرة إلى مكة بعد أن يطوفوا به شوارع القاهرة فرحاً بخروج المحمل وهم يحملون المشاعل [2]

وكان لحم هذا الجمل يوزع على النحو التالي: ربع الجمل لقائد المحمل والربع الثاني لخادم ضريح سيدي سعيد، والربع الثالث يوزع على الفقراء، والربع الرابع يباع لعامة الناس على سبيل البركة.

وكان أهل مصر يعتقدون أن لحم هذا الجمل يشفي من الأمراض مثل:الصداع والبواسير، وبعض الأمراض الأخرى، ثم يأخذ المحمل في الخروج من القاهرة بعد حفل وداع كبير ليأخذ طريقه من سيناء إلى مكة وقد عرف هذا الطريق إلى عهد قريب بطريق المحمل. وكانت آل الشيبي بالمملكة العربية السعودية هم الذين يتسلمون الكسوة ويقومون بوضعها على الكعبة صباح يوم النحر ويتسلمون كيس النقود والأموال المصرية للإنفاق على المقدسات الدينية طوال العام.

---

(١) لبيك ص ٦٩ .

(٢) لبيك ص ٧٠ .



مفاتيح الكعبة - السدانة

بعد أن فرغ خليل الله سيدنا إبراهيم عليه السلام من بناء الكعبة هو وابنه إسماعيل عليهم السلام توجه سيدنا إبراهيم عليه السلام إلى بيت المقدس حيث يقيم.

ثم تولى سيدنا إسماعيل خدمة ورعاية بيت الله الحرام وزواره وكذلك أبناء سيدنا إسماعيل عليه السلام وأحفاده من بعده.

ولكن البقاء والدوام من صفات الله وحده لا إله إلا هوفبمرور السنوات ضعف من نسل سيدنا إسماعيل عليه السلام من كانت في أيديهم رعاية بيت الله الحرام وخصوصاً بعد أن غلب عليهم قبائل العماليق. حتى نالوا هذا الشرف الكبير بخدمة بيت الله الحرام ثم توالت قبائل جرهم من بعد العماليق خدمة بيت الله الحرام وضيوف الله عز وجل إليه.

وكان ذلك في منتصف القرن السادس قبل الميلاد ثم جاءت بعض قبائل جرهم[1] قبائل وقبائل لأن الله قد أنزل الوباء على قبائل جرهم فهلك منهم الكثيرين ثم عادت مفاتيح الكعبة وخدمة بيت الله الحرام إلى أحفاد سيدنا إسماعيل عليه السلام إلى أن جاءت قبائل خزاعة ونالت هذا الشرف العظيم بخدمة بيت الله الحرام وسقاية الحجاج.

وبعد مرور السنين جاءت قبائل قصي بن كلاب من اليمن وهم أحد البطون العربية ويرجع نسبهم إلى سيدنا إسماعيل عليه السلام.

فجمع قصي بن كلاب قبائل العرب ونشر بينهم الحب والود ونزع من بينهم العداوة والكراهية والحقد والجفاء. ثم عمد إلى خدمة بيت الله الحرام فلم يستطيع تنفيذ ذلك إلا أنه اشترى ذلك مما كانوا يقومونه به فشترى الحجابة من قبائل خزاعة [1]. وظل

(١) المحمل والحج ص ١٩٨ .

(١) الكعبة على مر العصور ص ٩٣ .

في خدمة بيت الله الحرام إلى أن طرد قبائل خزاعة من مكة. وسيطر هو بعد ذلك على الحجابة والسقاية والرفادة وهي اطعام ضيوف بيت الله الحرام، وأصبح بذلك لقصي بن كلاب شأن كبير بين قبائل مكة والقبائل المجاورة لمكة.

وتذكر كتب التاريخ الإسلامي أن قصي بن كلاب هو الذي بنى دار الندوة بمكة وهي كانت تعدل برلمان الشورى في عهده، مما جعل جميع القبائل العربية وغيرها تجتمع عنده لأي أمر من الأمور.

ثم تولى ابنه عبد الدار كل ذلك من بعد أبيه قصي بن كلاب إلى أن ظهرت عليه بني عبد مناف واشتعل الخلاف بينهم والحروب وكادت هذه الحروب تقضي عليهم، إلا أن القبائل المقيمة معهم في مكة تدخلت وحلت هذا النزاع وعقد العهود بينهم وقسمت خدمة بيت الله الحرام عليهم.

فكانت الحجابة من نصيب بني عبد الدار.

والسقاية من نصيب بني عبد مناف والرفادة من نصيب قريش والريادة من نصيب بني نوفل وبني عبد المطلب وظل الوضع على هذا سنوات وسنوات.

وكان سيد عبد الدار في هذا الوقت هو [عثمان بن طلحة] فظلت مفاتيح الكعبة في يده إلى أن فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة عام ٨ هـ. فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى عثمان بن طلحة [١] في طلب مفاتيح الكعبة وأخذها رسول الله صلى الله عليه وسلم منه فنزل قول الله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا ﴾ [٢]

فرد رسول الله صلى الله عليه وسلم المفاتيح إلى عثمان بن طلحة، وفي ذلك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا يزعنها عنكم إلا ظالم» [٣].

وظلت مفاتيح الكعبة مع عثمان بن طلحة ومن بعهد بني شيبة وهم بطن من بطون قريش ومازالوا يتوارثونها إلى يومنا هذا.

---

(١) لبيك ص ٧٦ .　　(٢) النساء: ٥٨ .

(٣) في ظلال الحرمين ص ١٢١ .

غسيل الكعبة

روى عبد الله بن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم. لما دخل مكة يوم الفتح ٨ هـ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم. أمر سيدنا بلال بن رباح أن يصعد فوق الكعبة ويؤذن أذانه للصلاة ليعلم الجميع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم فتح مكة.

ثم اجتمع المسلمون وغسلوا الكعبة المشرفة بماء زمزم. ومن هنا جرت العادة بغسيل الكعبة كل عام إلى يومنا هذا ويقام هذا. أو يقام لهذا الغسيل حفل كبير وكان غسيل الكعبة يضع مائه في زجاجات ويباع على سبيل البركة كما تطيب الكعبة وتلبس الكسوة الجديدة.

وتذكر أم المؤمنين السيدة عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «طيبوا البيت فإن ذلك من التطهير» وقالت إن تطيب الكعبة أفضل ممن أهدى إليها ذهباً. وكان يضع الطيب مع ماء زمزم وتغسل الكعبة بها [١]

ويذكر أن عبد الله بن الزبير كان يغسل الكعبة بعد أن فرغ من بناؤها وكان يضع عليها رطل من الطيب كل يوم ويوم الجمعة ويضع عليها رطلين وكذلك الخلفاء العباسيين ومن جاء بعدهم ومازال هذا الغسيل والطيب يتم إلى يومنا هذا. مرتين كل عام الأولى في منتصف شهر شعبان من كل عام استمدادًا لشهر رمضان المبارك والمرة الثانية في منتصف ذي القعدة استمدادًا لموسوم الحج رزقنا الله وإياكم حج بيته الحرام.

(١) المحمل والحج ص ٢٠٣ .

بئر زمزم

«اللهم ما كتب لنا الري من ماء زمزم. هذا الماء المبارك وكتب الري لكل من اشتاق إليه يارب العالمين. وارزقنا جميعاً حج بيتك الحرام إن شاء الله»

نعرف أن سيدنا إبراهيم عليه السلام عندما ترك زوجته السيدة هاجر المصرية وابنها الرضيع إسماعيل بين جبال مكة بوادي غير مسكون ولا مزروع ليس به أنيس ولا جيس ثم أراد أن ينصرف فسألته هاجر إلى اين تذهب وتتركنا يا إبراهيم؟ فلم يجب عليها.

فأعادت السؤال مرة ثانية إلى أين تذهب وتتركنا يا إبراهيم؟ فلم يجب عليها.

فأعادت عليه السؤال مرة ثالثة إلى أين تذهب يا إبراهيم وتتركنا؟ فلم يجب عليها.

فقالت له: أالله أمرك بهذا.

فقال لها: نعم

فقالت بقلب المؤمنة: «إذن لن يضيعنا الله».

ثم انصرف سيدنا إبراهيم عليه السلام بعد أن ترك لهم سقاء به قليل من الماء وجراب به بعض من التمر. وسار عائداً إلى حيث يقيم بأرض المقدس. وبينما هو سائر بين جبال مكة دعا الله عز وجل أن يرسل إلى هذا المكان من يعمره مع ابنه وزوجته هاجر. ثم جلست السيدة هاجر بجوار ابنها تأكل من التمر وتشرب من الماء إلى أن نفد التمر والماء وأحست بالعطش. فما كان منها إلا أنها تركت ابنها الرضيع على الأرض لتبحث عن ماء. فلم تجد فصعدت جبل الصفا فلم تجد ثم هبطت من فوق جبل الصفا وصعدت جبل المروة فلم تجد فهبطت من فوق جبل المروة وظلت هكذا تصعد جبل وتهبط جبل إلى أن صعدت وهبطت بين (جبل الصفا وجبل المروة سبع مرات) ولذلك شرع في الحج السعي بين الصفا والمروة سبعة أشواط.

فلم تجد ماء بعد كل هذا السعي. وبينما هي تبحث عن الماء أرسل الله سيدنا جبريل عليه السلام وأمره أن يضرب الأرض بأحد جناحيه من تحت قدم هذا الطفل الرضيع إسماعيل.

فانفجرت بإذن الله عين زمزم. فأخذت هاجر تشرب من هذا الماء وتحمد ربها على هذه النعمة وهذه المعجزة وكانت تحوط الماء النابع من هذه العين وتقول «زم - زم» وفي ذلك يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «رحم الله أم إسماعيل لولا أنها عجلت لكانت زمزم عيناً معيناً الأرض» أي لأغرقت الأرض[1].

وعاشت هاجر وابنها بهذا المكان إلى أن جاءت إليها القبائل العربية مثل قبيلة جرهم وعاشت معها حول هذا الماء. وتربى سيدنا إسماعيل بين أبناء هذه القبيلة وأخذ من عادتهم إلى أن كبر وتزوج من بنات هذه القبيلة وعمر هذا المكان إى يومنا هذا بفضل دعاء سيدنا إبراهيم عليه السلام.

وكان سيدنا إبراهيم يتردد على زوجته هاجر وابنه إسماعيل من وقت إلى آخر وقيل انه كان يركب البراق الذي ركبه سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة الإسراء والمعراج. إلى أن جاءه الأمر برفع قواعد بيت الله الحرام الكعبة المشرفة هو وابنه إسماعيل عليهم السلام.

حفر عبد المطلب لبئر زمزم:

يذكر سيدنا علي بن أبي طالب عن حفر عبد المطلب جد رسول الله صلى الله عليه وسلم للكعبة فيقول:

أن عبد المطلب بينما هو قائم في الحجر إذ أتاه آت. فقال له: احفر طيبة قال: وما طيبة؟ قال ثم ذهب عني فلما كان في الغد رجعت إلى مضجعي فجاءني من يقول لي احفر برة. قلت ما وبرة؟ قال: ثم ذهب عني فلما كان الغد جاءني وأنا نائم وقال لي احفر المصنونة قال. قلت وما المضنونة؟ قال ثم ذهب عني. فلما كان من الغد رجعت إلى مضجعي فجاءني وقال احفر زمزم قال قلت وما زمزم؟ قال لا تنزف أبداً ولا تزم تسقي

---

(١) فخر الدين الرازي ص ٣٥٩ م ٩ .

الحجيج الأعظم. ودله هذا الهاتف أنها عند قرية النمل فلما جاءني ودلني على مكانها.
قلت أنه لصدق وفي الصباح ذهب عبد المطلب ولم يكن له أولاد إلا ابنه الحارث وهو الأكبر ليحفر هذا البئر بئر زمزم المبارك. وأخذ يحفر هو وابنه الحارث ولما ظهر له الطمي هلل عبد المطلب وكبر وهنا عرفت قريش أن عبد المطلب يرد شيئاً. فقالوا يا عبد المطلب إن هذه بئر أبينا إسماعيل عليه السلام. وإنا لنا فيها حقاً فأشركنا معك فيها.

فقال عبد المطلب ما أنا بفاعل؟ لقد خصص هذا الأمر لي دونكم وأعطيته من بينكم.

فقالوا له أجعل لنا نصفه فإنا غير تاركيك.

واشتد الصراع بينهم إلى أن تحكموا إلى «سعيد بن هذيم» على أن يذهب عبد المطلب وأحد رجال قريش إلى أحد الكهنة خارج مكة ليفتي في هذا الأمر وبينما هما في الطريق اشتد بهم العطش وكاد أن يهلك الجميع حتى أن كل واحداً منهم حفر لنفسه قبراً. وكان هذا قبل أن يصلوا إلى هذا الكاهن. ولكن الله رزقهم الماء فشربوا في هذا السفر وهنا عرف قدر عبد المطلب وأنه على حق في حفر هذا البئر. بئر زمزم المبارك. وعاهدوا أنفسهم قائلين (والله ما نخاصمك في عين زمزم أبدا) ثم عاد إلى مكة ولم يصلوا إلى هذا الكاهن.

وأخذ عبد المطلب يحفر بئر زمزم هو وابنه الحارث. وعندما استمر عبد المطلب في الحفر وجد في هذا الحفر كنزاً وكان عبارة عن جلد غزالتين مملوء بالذهب كانت قبائل جرهم قد دفنتهم من قبل. قبل أن ينزل بها الوباء ويهلكوا جميعاً. كما وجد سبع أسياف. وقلعية وسبعة أذرع. سوابغ فضرب باب الكعبة بهذا الذهب

وهنا عرفت قريش فضل عبد المطلب وأعطوه السقاية طوال العام. ثم كانت لابنه أبي طالب من بعده ثم ترك أبو طالب السقاية لأخيه العباس ثم صارت السقاية بعد ذلك إلى عبد الله بن العباس رضي الله عنهما ثم إلى علي بن عبد الله بن عباس. ثم داود ابن علي بن عبد الله بن عباس. ثم إلى سليمان بن علي ثم إلى عيسى بن علي.

فضل ماء زمزم

عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ماء زمزم لما شرب له»[(١)] أي أنه يشفي من كل داء ومرض إلا الهرم وهو الكبر في السن.

وعن ابي ذر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنها لطعام طعم. وشفاء سقم».

وهناك شروط للشرب من هذا الماء المبارك. يفضل اتباعها ونذكر منها :-

١ - أن يشرب الشارب حتى يشبع ويرتوي وتمتلئ بطنه بهذا الماء المبارك.

٢ - أن يكون الشارب متجه إلى القبلة المشرفة.

٣ - أن يبدأ الشارب بقوله بسم الله الرحمن الرحيم. وينتهي بالحمد لله رب العالمين.

٤ - يفضل أن يكون هذا الشراب عند عين زمزم.

٥ - أن يكون مؤمن بفضل هذا الماء المبارك.

وتذكر الأبحاث أن ماء زمزم يحتوي على أملاح الكالسيوم والماغنسيوم ويشفي من التسمم وأمراض القلب وغيرها لما جعل الله فيه من المكونات وأسرار.

نذر عبد المطلب

عندما عزم عبد المطلب حفر هذا البئر المبارك وتعرضت له قريش هو وابنه الحارث نذر عبد المطلب لأن رزقه الله عشر أولاد ليذبح واحداً منها. فستجاب الله لدعائه هذا ورزقه عشر أولاد هم:(الحارث - الزبير - حجل - ضرار - المقوم - أبو لهب عبد العزى - عباس - حمزة - أبو طالب - عبد الله) .

كما رزقه الله ستة بنات هن (أروي - برة - أميمة - صفية - عاتكة - أم حكيم البيضاء) وأراد عبد المطلب أن يوفي بهذا النذر فأقام قرعة على أبنائه ليذبح واحد منهم وكان كلما أجرى القرعة وقعت على عبد الله أبو رسول الله ﷺ فذهب إلى أحد العرفات فقالت له أفديه في كل القرعة بعشر إبل فكان كلما أقرع وقعت القرعة على

(١) منبر الإسلام ص ٥٩ .

عبد الله إلى أن فداه بمائة من الإبل ولذلك كان رسول الله ﷺ يقول أنا ابن الذابحين الذبيح الأول هو سيدنا إسماعيل الذي فداه الله بكبش عظيم،وأبوه عبد الله هو الذبيح الثاني الذي فداه جده بمائة من الإبل.

وكان عبد المطلب يوصي أولاده وأحفاده بالعدل وعدم الظلم وكان يحثه على مكارم الأخلاق ويحذرهم من دنيات الأمور وكان عبد المطلب يقطع يد السارق ويحرم شرب الخمر، والزنا ،وكان يأمرهم بتباع الكرم والشجاعة ويدعوهم إلى الفضائل.

تحويل القبلة

فرض الله عز وجل الصلاة على سيدنا محمد ﷺ ليلة الإسراء والمعراج. وكان ذلك قبل الهجرة. في العام الذي عرف بعام الحزن الذي توفي فيه عمه أبو طالب وزوجته أم المؤمنين السيدة خديجة بن خويلد اللذان كان له الدفاع والأمن.

وبعد أن فرضت الصلاة كان رسول الله ﷺ يتجه في صلاة إلى المسجد الأقصى الذي بناه سيدنا يعقوب عليه السلام.

وكان رسول الله ﷺ يتطلع إلى أن تحول القبلة إلى البيت الحرام. قبلة أبيه إبراهيم عليه السلام. فستجاب الله لرسول الله ﷺ وذلك لقول الله تعالى:

﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴾ (١).

والصلاة أي كانت فهي لله عز وجل وذلك لقول الله تعالى:

﴿ قُل لِّلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ (٢).

وكان تحويل القبلة بعد هجرة رسول الله ﷺ بستة عشرة شهراً، وقيل سبع عشرة شهر أي في العام الثاني من هجرة رسول الله ﷺ، وسمي هذا المسجد بمسجد القبلتين لأن أمر تحويل القبلة قد نزل على رسول الله ﷺ وهو في صلاة العصر فصلى رسول الله ﷺ بعض من صلاة العصر وهو متجه إلى بيت المقدس بالشام ثم حول وجه بأمر من الله عز وجل إلى الكعبة المشرفة في نفس الصلاة.

---

(١) البقرة: آية ١٤٤ .

(٢) البقرة آية: ١٤١ .

فعن البراء - قال: كان رسول الله ﷺ قد صلى نحو بيت المقدس [١] ستة عشرة شهراً أو سبعة عشرة شهراً. وكان يحب أن يوجه وجهه نحو الكعبة» فأنزل الله القرآن الكريم لتحويل القبلة.

وذكر الواقدي أن تحويل القبلة كان يوم الثلاثاء في النصف من شعبان من العام الثاني الهجري [٢].

وكان أمر تحويل القبلة هو اختبار من الله عز وجل للذين آمنوا. وذلك لقول الله تعالى:

﴿ وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا إِلاَّ لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ ﴾ [٣].

وقد سُمي هذا المسجد بمسجد القبلتين وهو أحد المعالم المقدسة التي يمكن زيارتها عند أداء الحج والعمرة اللهم اكتبهما لنا جميعاً.

---

(١) رواه البخاري ٤٤٨٦ .

(٢) البداية والنهاية ص ٢٤٨ م ٣ .

(٣) البقرة آية: ١٤٣ .

الصحائف والمعلقات

اعتاد العرب تقديس الكعبة لما جعل الله لها من فضل كبير في نفوس من رآها ومن لم يراها. ولذلك كانوا يعلقون بها العهود والمواثيق التي كانت بينهم.

فعند تجديد قريش للكعبة قبل بعثة رسول الله ﷺ بخمس سنين. فقد وجدوا بها بعض الصحف مكتوب فيها.

١ - الصحيفة الأولى وجدت مكتوبة باللغة السريانية ولم يكن لقريش علم بهذه اللغة فعمدوا إلى أحد رجال اليهود ليفسر لهم ما في الصحيفة فوجدوا مكتوب فيها:

(أنا الله ذو بكة. خلقتها يوم خلقت السموات والأرض. وصورت الشمس والقمر. وحففتها بسبع أملاك حنفاء. لاتزول حتى يزول أخشباها) [(١)]

٢ - الصحيفة الثانية مكتوب فيها:

(من يزرع خيراً يحصد غبطة. ومن يزرع شراً يحصد ندامة. يعملون السيئات ويجزون الحسنات كما يجنى من الشوك العنب) .

وقيل أنهم وجدوا في جوف الكعبة عند تجديدها ثلاث صحف مكتوب فيها:

الأولى: (أنا الله ذو بكة. صنعتها يوم صنعت الشمس والقمر. وحففتها بسبع أملاك حنفاء وباركت لأهلها في اللحم واللبن).

ومكتوب في الصحيفة الثانية:

(إني أنا الله ذو بكة. خلقت الرحم وشققت لها من أسمي فمن وصلها وصلته ومن قطعها قطعته).

---

(١) البداية والنهاية ص ٦٩١ م ٢ .

الصحيفة الثالثة:

(إني أنا الله ذو بكة خلقت الخير والشر قدرته. فطوبى لمن أجريت الخير على يديه وويل لمن أجريت الشر على يديه).

صحيفة المقاطعة: [١]

لقد بذلت قريش كل ما لديها من أجل محاربة الدعوة الإسلامية بكل الوسائل وذلك بمحاولة قتل رسول الله ﷺ وتعذيب الضعفاء من الصحابة الذين دخلوا دين الإسلام واعتزال الأقوياء منهم. ومقاطعة العامة وعدم التعامل معهم بكل الطرق والوسائل وعندما وجدت قريش عن كل هذه الأساليب لا فائدة منها وأن أمر الدعوة الإسلامية يزداد يوم بعد يوم ويزداد الإسلام انتشاراً ساعة بعد ساعة خاصة بعد دخول بني هاشم وبني عبد المطلب في دين الإسلام.

فأصاب هذا الأمر رؤساء قريش بالفزع. واجتمعوا من أجل اتخاذ الحلول للتصدي للإسلام بطريقة وأسلوب جديد.

فاجتمع زعماء قريش واتفقوا على مقاطعة بني هاشم والذين أسلموا ودخلوا في دين محمد ﷺ.

على الا يبيعوا لأحد منهم شيئاً ولا يشتروا منهم شيئاً. ولا يزوجوا لهم ولا يتزوجوا منهم. وقد كتب هذه الصحيفة «منصور بن عكرمة» وقيل بخط «بغيض بن عامر» [٢] ثم علقت هذه الصحيفة بجوف الكعبة،وتذكر كتب السيرة أن الذي كتب هذه الصحيفة قد شلت يداه،وكان ذلك في شهر المحرم من عام بعثة رسول الله ﷺ وكان عم رسول الله ﷺ أبو طالب دخل في شعب عبد المطلب وظل أبولهب في شعب قريش،وظلت هذه الصحيفة معلقة في جوف الكعبة وقيل عامين. ولكن الله عز وجل ينصر عبا الصالحين. وليس هناك أعز على الله من سيدنا رسول الله ﷺ.

وجعل له معجزة كبيرة بشأن هذه الصحيفة فقال رسول الله ﷺ لعمه أبي طالب: «يا

---

(١) البداية والنهاية ص ٩٥ م ٣ .

(٢) المحمل والحج ص ١٨٥ .

عم إن الله سلط الأرضة على صحيفة قريش فلم تدع فيها اسما هو لله إلا اثبتته فيها، ونفت منها الظلم والقطيعة والبهتان» .

فقال أبي طالب لرسول الله ﷺ: أربك أخبرك بهذا؟

قال رسول الله ﷺ: نعم.

وسار أبي طالب يخبر كل من دخل عليه أو خرج من عنده بامر ما حدث لهذه الصحيفة كل ذلك والصحيفة داخل الكعبة وباب الكعبة مغلق عليها [١].

وحاولت قريش أن تتأكد من ذلك ففتحوا الكعبة ونظروا في الصحيفة فوجدوا كل ما فيها قد أكلته القرضة إلا لفظ الجلالة [الله] كلما وجد فيها وبهذا عرف بعض رجال قريش أن دعوة رسول الله ﷺ حقا من عند الله عز وجل فامن منهم من أمن وكفر منهم من استحوذ عليه الشيطان وأغلق قلبه عن الحق.

وفي نهاية هذا العام توفي عم رسول الله ﷺ أبي طالب وكذلك زوجته السيدة خديجة بنت خويلد رضي الله عنها.

معلقات الشعراء : [٢]

كان من الشائع بين العرب خصوصاً أهل العلم والثقافة. ومنهم الشعراء تعليق أشعارهم وقصائدهم داخل الكعبة. وكذلك على أستار الكعبة من الخارج ولذلك سميت هذه الأشعار بالمعلقات.

ومن أشهر هذه المعلقات:

١ - معلقة امرؤ القيس بن حجر بن الحارث بن عمرو بن حجر. وقد مات عام ٨٠ قبل هجرة رسول الله ﷺ عام ٥٦٥ ميلادية.

٢ - طرفة بن العبد بن سفيان بن سعد بن مالك. وقد مات عام ٧٠ قبل الهجرة أي عام ٥٥٢ ميلادية.

٣ - زهير بن أبي سلمى بن رباح المزني الذي مات عام ١٤ قبل هجرة

---

(١) البداية والنهاية ص ٩٦ م ٣ .

(٢) المحمل والحج ص ١٨٤ .

رسول الله ﷺ أي عام ٩٠٨ ميلادية.

٤ - معلقة عمرو بن كلثوم. وهو من أشهر شعراء العرب. مات عام ٥٢ قبل الهجرة أي عام ٥٧٠ ميلادية.

٥ - لبيد بن ربيعة بن عامر بن مالك الذي مات عام ٤٠ قبل الهجرة أي عام ٦٦٠ ميلادية.

٦ - عنترة بن شداد. وقيل هو عمرو بن شداد الذي مات عام ٢٢ قبل الهجرة أي عام ٦٠٠ ميلادية.

٧ - الأعشى الميمون بن قيس بن جندل مات في العام السابع الهجري أي عام ٦٢٩ ميلادية.

٨ - الحارث بن حلز بن مكروه بن يزيد بن عبدالله الذي مات عام ٥٢ من الهجرة أي عام ٥٧٠ ميلادية.

٩ - النابغة الزبياني بن زياد بن معاوية بن طباب بن خباب بن يربوع مات عام ٨١ من الهجرة مات عام ١٨ من هجرة رسول الله ﷺ اي عام ٦٠٤ ميلادية.

١٠ - عبيد بن الأبرص بن عوف بن جشن الذي مات عام ٥٥٤ ميلادية وقيل عام ٦٠٥ ميلادية.

١١ - معلقات هارون الرشيد:

تذكر كتب التاريخ الإسلامي أن الخليفة العباسي. هارون الرشيد. قد حج البيت الحرام عام ١٨٦هـ . وكان معه ابناه (محمد - عبد الله) وقد كتب هارون الرشيد وصيته بعد قضاء مناسك الحج وعلقها بالكعبة، وقد جاء في هذه الوصية أن يكون ابنه الأكـ هو الخليفة من بعده. وأوصى له بالولاء والطاعة، وقد جرت العادة بين الخلفاء والرؤساء كتابة وصاياهم وتعليقها داخل الكعبة المشرفة.

دعاء سيدنا إبراهيم عليه السلام

بعد أن ترك سيدنا إبراهيم -عليه السلام- زوجته السيدة هاجر المصرية وابنها الرضيع إسماعيل كما ذكرنا من قبل في هذا المكان الجدب بين جبال مكة، توجه سيدنا إبراهيم إلى ربه ودعا لهذا البلد لما وجد فيها من الجدب والقحط[1]، وذلك بقوله الله تعالى: ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾ (إبراهيم : ٣٧).

لقد طلب سيدنا إبراهيم من الله عز وجل في دعائه أن يجعل هذا البلد آمنًا وذلك لقول الله تعالى: ﴿رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا﴾ (البقرة: ١٢٦).

كما طلب سيدنا إبراهيم - عليه السلام - من ربه أن يرزق هذا البلد من النعم والخيرات، وقد استجاب الله لدعاء سيدنا إبراهيم -عليه السلام- بأن يجعل هذا البلد آمنًا وأمان. وذلك بأن جعل القبائل تأتي من كل مكان لتسكن مع هاجر وابنها بعد أن جعل لهم عين زمزم ليفيض الخير في هذا البلد ومن هذه القبائل التي سكنت معهم قبائل جرهم والعماليق، وخزاعة، وغيرها من القبائل العربية التي عاشت في هذا المكان فيما بعد.

كما دعا سيدنا إبراهيم -عليه السلام- ربه بأن يقيموا الصلاة لقول الله تعالى ﴿رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾.

فتقبل الله دعاء سيدنا إبراهيم -عليه السلام- وكانت مكة قبلة العالم في الصلاة لوجود الكعبة المشرفة بها.

أما قول الله تعالى ﴿فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ﴾ (البقرة: ١٢٦)، قيل إن هذا الدعاء كان المقصود بها صلاح دنياهم بأن تأتي إليهم الناس، وبالفعل أتت إليهم القبائل

---

(١) تفسير فخر الدين الرازي (٢ / ٢٠٩).

وسكنت معهم. كما ذكرنا من قبل، وما زالت الناس تذهب إلى هناك لأداء أركان الإسلام وتمامها وهو الركن الخامس بحج بيت الله الحرام، وكذلك أداء العمرة اقتداء برسول الله ﷺ.

كما رزقهم الله عز وجل من الخير الوفير لقول الله تعالى ﴿ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ ﴾ (البقرة: ١٢٦).

فأصبحت مكة من أغنى بلاد العالم، وذلك بوفود الحجيج إليها، وتجارة أهلها، وظهور الكنوز بأرضها مثل البترول. من كنوز الله عز وجل بالمملكة العربية السعودية جميعها، وكان هذا الدعاء من سيدنا إبراهيم لهذا المكان وأهلها لما وجد فيه من الجدب والقحط وسوء العيش.

كما دعا سيدنا إبراهيم -عليه السلام- أن يرسل الله عز وجل من أهل هذه البلد وهي مكة نبيًا ورسولاً ليعلمهم الكتاب والحكمة، وكان ذلك بعد أن رفع قواعد البيت الحرام. وبنى الكعبة هو وابنه إسماعيل -عليهم السلام أجمعين- وذلك لقول الله تعالى:

﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُم بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلاً ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (١٢٦) وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (١٢٧) رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (١٢٨) رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ (البقرة: ١٢٩).

وقد استجاب الله لدعاء سيدنا إبراهيم لأهل مكة. فلم يصل إليها جبار ولم يمسها بسوء وليس هناك بعد حادثة الفيل التي حدثت لأبرهة ومن معه عندما حاول هدم الكعبة وذلك لقول الله تعالى :

﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ﴾ (الفيل: ١).

كما استجاب الله عز وجل لدعاء سيدنا إبراهيم. وجعل من أهل مكة نبيًا وهو سيدنا محمد ﷺ فكان خاتم الأنبياء والرسل. ليعلم أهلها وجميع أهل الأرض الدين والفرائض، والشرائع وأحل الله له الأرض جميعها، وجعلها له مسجدًا وطهورًا. فكان

أهل مكة يعرفونه ويعرفون أهله ومنشأه وصدقه وأمانته، وكل صفاته حتى لقبوه بالصادق الأمين، وفي ذلك يقول رسول الله ﷺ «أنا دعوة إبراهيم، وبشارة عيسى» وذلك لقول الله تعالى: ﴿ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ ﴾ (الصف: ٦).

وبهذا الشرف والتقديم تدعو أمة سيدنا محمد ﷺ في صلاتها «اللهم صل على محمد، كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم».

وقد دعا سيدنا إبراهيم -عليه السلام- بهذا الدعاء ليعلم هذا النبي محمد ﷺ أهل هذه البلد وما حولها من بلاد الله عز وجل.

منابع الخير وهي طاعة الله عز و جل، ومكارم الأخلاق لقول رسول الله ﷺ «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق».

وهي ما جاء في قول الله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (البقرة: ١٢٩).

الكعبة في زمن الطوفان

جاء في كتاب التفسير الكبير للإمام فخر الدين الرازي. إن الله تبارك وتعالى أمر السماء أن تمطر والأرض أن تتفجر منها العيون في زمن طوفان سيدنا نوح -عليه السلام- وعندما عم الماء الأرض والجبال أمر الله عز و جل الملائكة أن ترفع الكعبة من على[1] الأرض؛ ولذلك قيل إنها سيمت بالبيت العتيق لأن الله عز وجل أعتقها من الطوفان.

وقيل إن الله رفع الكعبة إلى السماء السابعة. وبقيت قواعدها في الأرض.

وذكر بعض العلماء أن الكعبة كانت قبل الطوفان يقوتة حمراء، وقيل يقوتة بيضاء[2] ولما حرما عليه الطوفان قيل إنها سميت بالبيد رام لذلك خصوصًا إن الله عز وجل قد حرم فعل الخبائث عنده.

ويذكر سيدنا عبد الله بن عباس. رضي الله عنه أن سيدنا نوحًا عليه السلام كان معه في السفينة حوالي ثلاثين رجلاً ممن آمنوا به، وبرسالته، وقيل إنهم ظلوا بالسفينة حوالي مائة وخمسين يومًا، وقيل إن الله عز وجل وجها السفينة إلى مكان البيت الحرام بعد أن رفعه إلى السماء فكانت السفينة تطوف بمكان الكعبة وهي على الماء تقديرًا وتقديسًا لهذا المكان، وقيل إن السفينة طافت حول البيت الحرام أربعين يومًا، ثم أمر الله عز وجل السفينة أن تتوجه إلى جبل الجودي حتى تستقر عليه بعد أن أمر الله عز وجل السماء أن تتوقف عن خروج الماء منها.

ثم أرسل سيدنا نوح عليه السلام الغراب ليأتيه بخبر[3] الأرض فوقع على جيفة وابطأ في العودة، فأرسل سيدنا نوح الحمامة لتأتيه بخبر الأرض فذهبت وعادت إليه

---

(١) تفسير فخر الدين الرازي (٢ / ٤٠٦).

(٢) تفسير فخر الدين الرازي (١١ / ٢٦٣).

(٣) تفسير فخر الدين الرازي (١١ / ٢٦٤).

وبأرجلها أثر من طين. وبمنقرها غصن الزيتون. لذلك اتخذت الحمامة رمزًا للسلام بين شعوب الأرض.

وبعد هذا الطوفان اختفت معالم ومكان الكعبة المشرفة وظلت هكذا إلى أن أمر الله سيدنا إبراهيم عليه السلام وابنه إسماعيل برفع القواعد كما ذكرنا من قبل بعد أن دله عن مكانها سيدنا جبريل عليهم السلام أجمعين.

الكعبة في الجاهلية

كان العرب قبل الإسلام يعظمون الكعبة ويطوفون حولها ويذبحون لها الذبائح ويلطخون حيطان الكعبة من الخارج بدماء هذه [١] الذبائح كما كانوا يقدمون لها الهدايا والقرابين. لأنهم لم يتفهموا الهدف من النحر وهذا الذبح ولذلك نزل قول الله تعالى: ﴿ لَن يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ التَّقْوَىٰ مِنكُمْ ﴾ [٢].

﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ [٣].

وذكر الصحابي الجليل سيدنا عبد الله بن عباس. أن هذه الآيات الكريمة قد نزلتا في «أبي سفيان بن حرب» وأصحابه حين صدوا رسول الله ﷺ عن الكعبة عام الحديبية ٧ هـ من أن يحج أو يعتمر أو أن ينحر الهدي. فكره رسول الله ﷺ قتاله هو ومن معه .ونحر رسول الله ﷺ وهو في الحديبية ثم كان صلح الحديبية بأن يعود رسول الله ﷺ لأداء العمرة العام القادم ولكن الله عز وجل أنعم على سيدنا محمد ﷺ بفتح مكة عام ٨ هـ فكان هو السيد المطاع بإذن الله عز وجل

ويذكر سيدنا عبد الله بن عباس. أن قول الله تعالى:

﴿ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ .

أنها نزلت أيضاً في عبد الله بن سعد. وقيل أنها نزلت في ابن الأخطل عندما قتل أحد الأنصار وهرب إلى مكة. ولذلك أمر رسول الله ﷺ بقتله عام الفتح الأعظم ٨ هـ

كما كان للعرب في الجاهلية شعائر ومناسك يؤدونها حول الكعبة وكانت لكل من هذه الشعائر والمناسك مواسم مثل مواسم الحج. وذلك لقول الله تعالى:

﴿ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴾ [٤]

---

(١) تفسير فخر الدين الرازي ص ٢٧٩ م ١١ .

(٢) سورة الحج: آية ٣٧ .

(٣) سورة الحج: آية ٢٥ .

(٤) سورة الأنفال: آية ٣٥ .

فكانت العرب تطوف بالبيت الحرام وهم يصفقون ويهللون معتقدين أن صلاتهم لم تقبل إلا بهذا التصفيق والتهليل كما كانوا يطوفون بالبيت الحرام عراة [١] قائلين إن ثيابهم قد فعلوا فيها الذنوب ويجب أن يطوفوا بالبيت وهم بعيدين عن هذه الثياب التي فعلت فيها هذه الذنوب. وعندما بعث رسول الله ﷺ فكان كلما أراد دخول البيت الحرام للصلاة عند الكعبة فقد كانوا يصفقون ليفسدوا على رسول الله ﷺ صلاته.

ورغم تعدد بيوت العرب إلا أن الكعبة المشرفة كانت لها المنزلة الأولى عند العرب ونذكر من بيوت العرب:

بيت نجران، بيت غطفان، بيت شداد، بيت الرئا.

بيت اللات. والعزى. وبيت ذي الحليفة. الذي بناه أبرهة باليمن ليصرف الناس عن الكعبة المشرفة إليه. وبرغم أنه بنى هذا البيت من ذهب لم يذهب أحد إليه وظلت مكانة الكعبة المشرفة لها منزلة عظيمة عند العرب.

ولم يكن العرب وحدهم هم الذين يقدسون الكعبة بل كانت القوافل التي تمر من أرض الجزيرة العربية من الشمال إلى الجنوب. والعكس من قوافل الروم والفرس والغساسنة كان يستريحون عند الكعبة في رحلتي الصيف. ورحلة الشتاء وكان لا يدخل مكة زائر من بعيد أو من قريب إلا وزار بيت الله الحرام وأخذ بعض من أحجارها التي وقعت عند إعادة بناؤها وذلك على سبيل التبرك بهذه الأحجار. وكانوا إذا عادوا إلى بلادهم كان يعظمون أحجار الكعبة التي حملوها معهم إلى بلادهم نفس تعظيمهم للكعبة المشرفة.

وكانت العرب تعظم الكعبة المشرفة ويؤدون المناسك على طريقة سيدنا إبراهيم وابنه إسماعيل .وسيدنا نوح عليهم السلام، وبعضهم قد ابتدع لنفسه مناسك من هوى نفسه.

ومن هذه المناسك، مناسك قبيلة «نزار» فكانوا يطوفون بالكعبة وهم يقولون: «لبيك إذا ما أهلت لبيك اللهم لبيك لا شريكَ لك، إلا شريك هو لك تملكه وما ملك».

ومن مناسك قبيلة «عك» [٢]

---

(١) الفقه الواضح: ٤١٧ .

(٢) المحمل والحج ص ٥٧، ٥٨ .

فقد كان لهذه القبيلة مناسك خاصة بها عند طوافهم حول الكعبة، فكانوا بعد فراغهم من طوافهم يقدمون غلامين أسودين ويطوفون بالكعبة ويقولون: «نحن غرابك عك»

فتردد باقي القبيلة خلف هذين الغلامين:

«عك إليك عانيه عبادك اليمانية»

أما قبائل خزاعة فكان سيدهم، خزاعة بن عمرو بن لحي يبح الذبائح ويطعم الناس ويكسوهم كل عام في مواسم الحج وقيل أنه كان يذبح عشر آلاف من الإبل ويكسو عشر آلاف نفس.

وقيل أنه أول من سيب السائبة، وبحر البحيرة وحمى الحامية...

وظلت العرب تذبح وتعظم الكعبة ويعظمونها ويؤدون هذه المناسك بهذه الطريقة إلى أن فتح رسول الله ﷺ مكة عام ٨ هـ أمر رسول الله ﷺ بتكسير هذه الأصنام وكان عددهم ٣٦٠ صنماً وكان البعض منها داخل جوف الكعبة. والباقي حولها وكان أكثر هذه الأصنام بوادي قريب من الكعبة عرف بوادي [الغبغب] . وكان أشهر هذه الأصنام صنم [هبل] وهو المعروف بهبل خزاعة. وقد كسرت يد هذا الصنم ذات يوم فجعلت خزاعة له يد من ذهب بدل التي كسرت.

ومن مظاهر تقديس العرب في الجاهلية للكعبة أنهم كانوا يضعون داخل الكعبة سبع أقداح لإجراء القرع عليها إذا اختلفت عليهم الأمور [١]

فكان القدح الأول مكتوب عليه [نعم]

والقدح الثاني مكتوب عليه [لا]

والقدح الثالث مكتوب عليه [منكم]

والقدح الرابع مكتوب عليه [غيركم]

والقدح الخامس مكتوب عليه [بها]

والقدح السادس مكتوب عليه [ما بها]

---

(١) المحمل والحج ص ٦٥ .

والقدح السابع مكتوب عليه [لا شيء]

فإذا اختلطت عليهم الأمور ضربوا الأقداح أي أقاموا القرعة والقدح الذي تقع عليه القرعة كان ما هو مكتوب عليه أمر نافذ على الجميع بكل رضى وطاعة.

وهي نفس الأقداح التي ضربها عبد المطلب جد رسول الله ﷺ عندما نذر لئن رزقه الله عشر أولاد ليذبحن واحد منهم للآلهة كما ذكرنا من قبل.

ومن مناسك العرب في الجاهلية أنهم كانوا يمنعون النساء الحوائض من الطواف حول الكعبة وكانت الرجال تطوف عراة نهاراً والنساء تطوف عاريات ليلاً[١].

كما كانوا ينذورن بعض أولادهم لخدمة الكعبة نمذ صغرهم كما فعلت أم عبد مناف جد رسول الله وهبته لخدمة الكعبة المشرفة.

ومن مناسك تقديس الكعبة عن العرب في الجاهلية أنهم كانوا يفتحون الكعبة يوم الاثنين ويوم الجمعة ويدخلونها وكانت الكعبة تفتح بمواعيد في هذه الأيام وكانت فيها مواعيد للرجال والنساء[٢].

كما كانت الكعبة تفتح لرؤساء القبائل في أي وقت مقابل دفع مبلغ من المال، كما أن أول من خلع النعال وهو داخل الكعبة هو «الوليد بن المغيرة» تعظيماً وتشريفاً للكعبة.

أديان العرب في الجاهلية:

كانت للعرب في الجاهلية أديان عديدة نذكر منها [الأحماس] ومن شرائع هذا الدين أنهم كان يشترطون على من يتزوج [٣] من بناتهم إذا ولدت ولداً أن يكون هذا الولد من الأحماس أي على دين العرب.

وكان إذا حلف أحدهم أنه لن طوف بالكعبة فكان لا يدخل بيته من الباب بل كان ينقب جدار البيت ويدخل منه.

---

(١) المحمل والحج ص ٦٥ .

(٢) السابق ص ٢٠١ .

(٣) اخبار مكة ص ١١٥ .

وقد فعل أحد العرب ذلك يوم صلح الحديبية عندما وقف أمام بيته فقال له رسول الله ﷺ له:

﴿ وَالْحَجِّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَىٰ وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [1].

كما أن هؤلاء الأحماس كانوا أول من خلع الثياب عند الطواف بالكعبة ويتركونها بجوار الكعبة حتى تبلى تحت حر الشمس والمطر والرياح [2].

كما عرف عن العرب الكرم وهو ما عرف عندهم بالرفادة تقرباً إلى الله بإكرام ضيوف بيت الله ومازالوا على هذه الصفات من الكرم والجود إلى يومنا هذا بارك الله عز وجل في كل من أكرم ضيوف الله عز وجل.

---

(١) سورة البقرة: آية ١٨٩ .

(٢) أخبار مكة ص ١١٨ .

عبادة الأصنام

أجمعت كتب التاريخ الإسلامي على أن العرب القدماء لم يعرفوا عبادة الأصنام قبل بعثة سيدنا إبراهيم عليه السلام منذ زمن طوفان سيدنا نوح ﷺ . بل كانت الأصنام التي حطمها سيدنا إبراهيم ﷺ بأرض بابل عندما أشعل «النمروذ» النار والقى سيدنا إبراهيم ﷺ فيها لقول الله تعالى:

﴿ يا نارُ كُوني بَرْدًا وَسَلامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴾ (الأنبياء : ٦٩).

أما نشأة عبادة الأصنام في مكة فقد جاءت بسبب ضيق العيش في مكة، وحلول الجدب والقحط[١] والفقر، فأدى ذلك إلى هجرة أهل مكة إلى المناطق المجاورة. ولكن المهاجرين من مكة إلى البلاد الأخرى كان يعز عليهم فراق الكعبة المشرفة والطواف حولها وقضاء المناسك لها فكان هؤلاء المهاجرون يأخذون بعض الأحجار من هدم الكعبة عند إعادة بنائها معهم في هذه الرحلات، وكانوا كلما نزوا بأرض وضموا هذه الأحجار - أحجار الكعبة- وطافوا حولها كطوافهم حول الكعبة، فاستحوذ عليهم الشيطان وسول لهم تشكيل هذه الأحجار وتزيينها لتكون جميلة الشكل وحسنة المنظر وسهلة الحمل في السفر. وقيل إن أول من فعل ذلك هو «عمرو بن لحي»؛ لذلك يقول الصحابي الجليل سيدنا عبد الله بن عباس -رضي الله عنهما- : قال رسول الله ﷺ :

رأيت ليلة الإسراء والمعراج عمرو بن لحي يجر امعاءه في النار لأنه أول من عبد الأوثان وفعل ما فعله وغير في دين الحنفية دين سيدنا إبراهيم ﷺ وعبد الأصنام».

ويذكر أن أول من تجرأت على الحرم وفعلت الذنوب هم قبائل جرهم. وقيل إنه كان منهم رجل يسمى «أساف بن نجاء» كان يعشق سيدة تسمى «نائلة بنت ذئب»، وأن هذا الرجل دخل الكعبة هو هذه السيدة، وفعل بداخلها الفاحشة فأنزل الله عليهم العقاب

(١) أخبار مكة ص ٧٣ .

ومسخهما حجارة، فأصبح كل منهما حجرًا مثل الصنم فوضع أحدهما إلى جبل الصفا والآخر على جبل المروة ليكون عبرة لمن يفعل ذلك في مثل هذه الأماكن المقدسة، وأصبحا مزارًا بين أهل مكة إلى أن مرت سنوات وسنوات ونسي أهل مكة قصة هذا الرجل وهذه السيدة وأصبحا مجرد تمثالين فقط إلى أن سول الشيطان لبعض أهل مكة تقديسهما والتقرب إليهما؛ وبذلك تعددت الأصنام أشكالاً وأسماء بين أهل مكة، وأصبح لكل قبيلة صنم حتى أدى الأمر إلى أن نقلا هذين الصنمين بجوار الكعبة حتى إن أحدهما كان يلاصق الكعبة، والثاني عند بئر زمزم.

وأخذ العرب يطوفون حولهم يبدؤون بأساف وينتهون بنائلة. وقيل إن الذي نقل هذه الأصنام هو «قصي بن كلاب»، وقد نقلها بجوار الكعبة وعند بئر زمزم.

وعندما أنعم الله – عز وجل – على رسول الله ﷺ بفتح مكة عام (٨هـ) أمر أصحابه بتحطيم هذه الأصنام الموجودة عند الكعبة أو بالقرب منها وكان عددها (٣٦٠ صنمًا) بعدد أيام السنة، وكان رسول الله ﷺ يقول والأصنام تحطم:

«جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقًا»؛ ولذلك قال رسول الله ﷺ في يوم الفتح لأهل مكة الذين دخلوا في دين الله عز وجل:

«من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يترك صنماً في بيته إلا كسره أو حرقه»

كما كان بعض العرب يعبدون أشياء أخرى مثل الأشجار مثل «ذات النواط»[1] وغيرها من ألوان الشرك بالله عز وجل.

(١) أخبار مكة ص ٧٧ .

تخريب الكعبة والاعتداء عليها

لقد حفظ الله - عز وجل- بيته الحرام من الاعتداء عليه، ومحاولات تخريبه المتعددة على مر التاريخ، وليس هناك أدل على ذلك من وجوده إلى يومنا هذا يُقدس، ويُحترم، وتُؤدى له كافة الشعائر التي فرضها الله - عز وجل- على عباده وسنها رسول الله ﷺ لأبناء الأمة الإسلامية ومن هذه الاعتداءات التي تذكرها كتب التاريخ في الإسلام:

حادثة الفيل:

تعد حادثة الفيل هي أكبر وأشمل محاولات هدم وتخريب الكعبة، كما ذكر التاريخ خاصة أن القرآن الكريم قد سجل هذه الحادثة في «سورة الفيل»، وذلك لقول الله تعالى:

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ① أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ② وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ③ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ④ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ⑤﴾ (سورة الفيل)

وكان صاحب هذا الأمر والذي سعى إلى تخريب الكعبة هو رجل من الحبشة يسمى «أبرهة بن الأشرم»[1] قد بنى كعبة من ذهب وسماها «ذو الخصلة»، وقد أقام هذا البيت بأرض اليمن بهدف أن ينصرف الناس عن الحج إلى الكعبة بيت الله الحرام بمكة إلى بيت ذي الخصلة باليمن حتى تنحط مكانة العرب بين القبائل، وتبور تجارتها، وتنقطع أرزاقها من التجارة، ولكن لم يستجب أحد لأمره هذا؛ فجهز الجيش وخرج بالأفيال القوية من أرض اليمن فتوجه إلى مكة لهدم بيت الله الحرام (الكعبة)[2].

ولما وصل «أبرهة» إلى الكعبة بجيشه وأفياله القوية خرجت القبائل العربية لتشاهد هذا الأمر الذي أفزعهم خاصة أنهم لا قبل لهم بهذا الجيش القوي والأفيال القوية فما كان من سيد قريش «عبد المطلب» وهو جد الرسول ﷺ بعد أن رأى هذا الجيش إلا أنه

---

(١) تفسير فخر الدين الرازي (٢ / ٤١٠).

(٢) البداية والنهاية (٢ / ٥٥٥).

أسلم أمره إلى ربه بقوله الشهير: «للبيت رب يحميه».

فكان ابرهة كلما وجه أكبر الأفيال وكان يسمى «محمود» إلى الكعبة ليهدمها استدار هذا الفيل بعيدًا عن الكعبة وبرك في الأرض، وكذلك باقي الأفيال فاصر أبرهة وجنوده رغم كل ذلك على هدم الكعبة، ولكن الله حفظ بيته من هذا الجبار، وأرسل عليه وعلى جنوده طيورًا من السماء حمل كل طائر حجرًا مكتوبًا عليه اسم صاحبه الذي سيقع عليه من جنود أبرهة. فقيل إن هذا الحجر كان صغيرًا قدر حبة «الفول» إلا أنه كان يقع على رأس الواحد منهم فتقتله وتخرج من دبره.

حتى أصبح أبرهة هو وجنوده كالعصف المأكول كما ذكر القرآن، وحفظ الله بيته الحرام من هذا الجبار، وقيل إنه لم ينجو من هذا الجيش إلا رجل واحد هرب إلى أرض الحبشة فكانت الطير تطارده إلى أن وصل إلى الحبشة عند النجاشي، وحكى له قصة أبرهة والطيور والحجارة التي وقعت عليهم وبعد أن حكى هذا الرجل كل ذلك للنجاشي وقع عليه الحجر من منقار الطائر الذي كان يطارده حتى قتل هذا الرجل كما قتل باقي جيش أبرهة[1].

ولذلك عرف هذا العام عند العرب بعام الفيل، وهو العام الذي ولد فيه خير البشر سيدنا محمد ﷺ.

وقيل إن هذه الحجارة التي سقطت عليهم كانت من حجارة جهنم. وأن الرياح نقلت نيرانها إلى أرض اليمن فحرقت بيت ذي الخصلة الذي بناه «أبرهة» من ذهب، ولم تبقي له أثرًا فسبحان الله الفعال لما يريد.

حريق الكعبة أثناء قتال الحجاج وعبد الله بن الزبير:

يذكر أحد المؤرخين وهو المؤرخ الشهير «الكندي» عن سلمان الفارسي رضي الله عنه أن الكعبة قد تعرضت للحريق يوم السبت من غرة شهر ربيع الأول من العام الرابع والستين من هجرة رسول الله ﷺ عندما اشتد القتال بين عبد الله بن الزبير بن العوام والحجاج بن يوسف الثقفي أحد رجال الأمويين[2]، وأن الكعبة قد تعرضت للحريق عن غير قصد عندما حمل أحد رجال الزنوج نارًا في طرف رمحه فتطايرت هذه النيران بأثر الرياح

---

(١) تفسير فخر الدين الرازي (١٦ / ٦٣٩). (٢) أخبار مكة ص ١٣٨ .

إلى خشب الكعبة وأشعلت فيه النيران، وكذلك حرقت كسوة الكعبة في هذا الوقت.

وقيل إنها حرقت بسبب المنجنيق الذي نصبه الحجاج بن يوسف الثقفي على جبل أبي قبيس أشهر جبال مكة وأقربها إلى الكعبة المشرفة، وذلك بهدف أن يفزع رجال عبد الله بن الزبير، وبسبب هذا الحريق جدد عبد الله بن الزبير الكعبة في نفس العام الذي وقعت فيه هذه المعركة، قيل عام (٦٣هـ) وقيل عام (٦٤هـ).

تخريبها على يد بني أمية:

بعد أن رفض «عبد الله بن الزبير» مبايعة «يزيد بن معاوية» على أن يكون خليفة للمسلمين انتصر عبد الله بن الزبير في أول الأمر، وقام بتجديد الكعبة وإعادة بنائها، ولكن ما هي إلا سنوات واشتدت شوكة بني أمية بقيادة يزيد بن معاوية، وانتصر على عبد الله بن الزبير بن العوام بعد أن تخلى عنه الكثير من رجاله مما جعل عبد الله بن الزبير يحتمي بالكعبة، ولكن قسوة الحجاج بن يوسف الثقفي جعلته يقذف عبد الله بن الزبير بن العوام هو ومن معه مما تسبب في حريق الكعبة مرة أخرى، وهو ما كان سببًا في إضعاف المسلمين إلى اليوم.

وقد وصل الأمر أن ذبح الحجاج «عبد الله بن الزبير» رضي الله عنه وعلق جثته مصلوبة على قارعة الطريق دون رحمة بعد موته ودون رأفة به وبأمه أسماء بنت أبي بكر الصديق -رضي الله عنهم- ودون مراعاة لحرمة دم المسلم مما كان سببًا في أن أعاد بنو أمية بناء الكعبة الذي لم يمض على بنائها عشرة سنوات بحجة هذا الحريق، وأن عبد الله بن الزبير قد زاد في بنائها، رحم الله عبد الله بن الزبير وأمه أسماء بنت أبي بكر الصديق -رضي الله عنهم أجمعين.

تخريب الكعبة على يد القرامطة:

لقد فعل «أبو ظاهر القرمطي» مثلما فعل «أبرهة الأشرم»، وقام ببناء بيت ليحج الناس إليه بدولة البحرين، وكان ذلك عام (٣١٧هـ) ، فلم يذهب أحد إلى هذا البيت الذي بناه فما كان منه إلا أنه جهز جيشًا وأغار على الكعبة وسرق ما فيها من النذور والهدايا التي أُهديت إلى الكعبة، وكان أغلبها من الذهب الخالص وحملها إلى بلاده

بالبحرين، كما أن رجاله اقتلعوا الحجر الأسود من مكانه[1] وذهبوا به إلى قرية «هجر» بدولة البحرين، ولكنه فشل في هذه المحاولة، ثم أعيد الحجر الأسود إلى مكانه بجوار الكعبة بعد سنوات.

تخريب الكعبة على يد الصليبيين:

ليعلم الجميع أن الصليبيين هم أشد الناس عداوة للمسلمين وأهله، وقد حاربوا الإسلام وما زالوا يحاربونه إلى اليوم، فليحذر الجميع فالتاريخ خير شاهد على ذلك، فقد حاول الصليبيون تخريب الكعبة في عصر السلطان «نور الدين محمود» وذلك في منتصف القرن السادس الهجري، وذلك عندما حاول هؤلاء دخول المدينة المنورة في زي حجاج دولة المغرب[2] لسرقة جسد رسول الله ﷺ، ولما بلغ ذلك الناس كانوا بين مصدق ومكذب ، ولما بلغ هذا الأمر السلطان «نور الدين محمود» سيطر عليهم وقتلهم وقام بحفر خندق حول قبر رسول الله ﷺ وصب الرصاص في هذا الخندق حتى لا يتمكن أحد من الوصول إلى ما يسعى إليه هؤلاء في يوم من الأيام، وأحبط محاولتهم لتخريب الكعبة بعد ذلك.

تخريب تبع الأول للكعبة[3]:

جاء في كتاب «أخبار مكة» عن الإمام الأزرقي صاحب هذا الكتاب أن «تبع الأول» حاول هدم وتخريب الكعبة، وكان ذلك في زمن خزاعة إلا أن أهل مكة قاتلوه أشد القتال حتى رجع عن هذا الأمر، وتذكر كتب السيرة النبوية أن أتباع هذا الرجل قد حاولوا هدم الكعبة بعد ذلك ثلاث مرات، وكان ذلك في زمن قريش.

كما تعرضت الكعبة للهدم والتخريب عندما حاول بنو هذيل -أحد قبائل الجزيرة العربية- تحريض بني لحيان على هدم الكعبة وتخريبها لتنحط بذلك منزلة العرب بين أهل الجزيرة العربية؛ فجمع بنو لحيان الجموع وصاروا إلى أن وصلوا عند وادي «عسفان» بالقرب من مكة، ولكن سيد بني لحيان عندما قرب من مكة سأله أحد الناس ماذا تريد؟

---

(١) لبيك ص ٧٧ .

(٢) لبيك ص ١٠٥ .

(٣) أخبار مكة ص ٧٩ .

قال سيد بني لحيان: أريد هدم الكعبة.

فـقـالوا له: بل انو له خـيـرًا ، أن تكسـوه أو تذبح لـه، ثم واصل هـذا الرجل السـيـر بجيشه إلى داخل مكةَ فهبت ريح فقتلت من جيشـه الكثير ، فـأعاد هذا الرجل حساباته مع نفسـه وعرف أن الأمـر الذي عـزم عليه غيـر طيب، وهو هدم الكعبة، وعرف فضلها فكساها وذبح لها وعظمها ثم أمر بالهذليين وصلبهم على ما كان منهم.

وهكذا نرى أنه كلما أراد أحد الكعبة بسوء أهلكه الله -عز وجل- وحفظها من السوء إلى يومنا هذا، اللهم احفظها بحفظك، واحفظ أمة عبد ونبيك سيدنا مـحمـد ﷺ من أعدائها.

فضل الحجر الأسود

الحجر الأسود له مكانة كبيرة في نفوس المسلمين؛ لأن سيدنا جبريل ﷺ قد هبط به من الجنة عند بنائه للكعبة، فكان سيدنا إبراهيم ﷺ يقف عليه عند بناء الكعبة وابنه إسماعيل ﷺ يناوله الحجارة للبناء، وأثرة قدم سيدنا إبراهيم فيه رغم أنه صخر، فمن عبد الله بن عباس قال: «إن جبريل ﷺ نزل بهذا الحجر من الجنة وضعه حيث رأيتم وإنكم تزالون بخير ما دام بين ظهرانكم فتمسكوا به ما استطعتم فإنه يوشك أن يجئ فيرجع من حيث جاء»[1].

وعن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ :

«كان هذا الحجر أشد بياضاً من الثلج فسودته خطايا أهل الشرك، قيل: بطوفانهم عرايا حول الكعبة.

وقيل: إن سيدنا إبراهيم ﷺ قد وقف على هذا الحجر عندما أمره الله -عز وجل- بأن يؤذن في الناس بالحج. وكان لهذا الحجر الأسود فضل كبير عند رسول الله ﷺ وكذلك عند الخلفاء الراشدين من بعده وجميع المسلمين.

وتذكر كتب التاريخ الإسلامي أن سيدنا أبا بكر الصديق ﷺ قد وقف عند هذا الحجر وقال: «إني لأعلم أنك حجر لا تنفع ولا تضر ولولا أني أعلم أن رسول الله ﷺ يقبلك ما قبلتك».

وروي عن سيدنا عمر بن الخطاب ﷺ قال: «أنه لما انتهى من الطواف عند الحجر الأسود قبل هذا الحجر وقال: إني أقبلك، وإني لأعلم أنك لا تنفع ولاتضر، ولولا أني رأيت رسول الله ﷺ يقبلك ما قبلتك».

ولقد عرف أعداء الأمة فضل هذا الحجر عندهم فحاولوا نزعه منهم خاصة عندما اشتد الصراع والنزاع بين قبائل مضر، وقبائل بني نزار، وهي ما عرف في التاريخ بحرب «إيادة» فقد خلعت قبائل بني نزار هذا الحجر ودفنته في جبل أبي قبيس أهم

(١) أخبار مكة ص ٢٢٠ .

جبال مكة الكرمة.

وقد علمت بذلك امرأة من خزاعة فأخبرت قومها بمكان الحجر بجبل أبي قبيس فردوه إلى مكانه على أن تكون لهم ولاية البيت ولم يكن هذا الحجر ذو فضل وحده عند المسلمين فهناك أجار أخرى مثل صخرة بيت المقدس، والتي بنى عليها في عهد «عبد الملك بن مروان» وابنه «الوليد» قبة الصخرة في القدس.

وكذلك ما عرف بصخرة «أيوب» في قرية «بني سعد» بإحدى بلاد الشام ومن المعروف أن جميع الأحجار تغوص في الماء إلا هذا الحجر المبارك فإنه إذا وضع في الماء طفى على سطح الماء.

وقيل : إن سيدنا إبراهيم ﷺ قد وضعه في هذا المكان ليكون بداية للطواف لمن طاف بالكعبة المشرفة.

وعن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ:

«الركن عين الله في الأرض يصافح به عباده كما يصافح أحدكم أخاه».

ويذكر عبد الله بن عباس -رضي الله عنهما- قال: «لما هبط آدم ﷺ إلى الأرض نزل معه الركن والمقام فعظمهما آدم ﷺ وأنس بهما»، وقال رسول الله ﷺ :

«استلام الركن الأسود والركن اليماني يحط الخطايا حطاً».

ويذكر أن سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه وقف عند هذا الحجر وبكى، وقال: «هنا تسكب العبرات، وتستجاب الدعوات».

وقد مدح أحد الشعراء هذا الحجر فقال[1]:

إلى سيد الأحجار في الحرم الذي
قضى الخالق الباري بتعظيم شأنه
حثثنا مطايا الشرق والسوق في الفلا
فجاءت بنا إنسان عين زمانه

(١) المحمل والحج ص ١١٢ .

وعن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ:

«ليأتين هذا الحجر يوم القيامة له عينان يبصر بهما ولسان ينطق به لمن استلمه بحق».

ولهذا الحجر قدر كبير فمند تجديد قريش للكعبة قبل بعثة رسول الله ﷺ بخمس سنوات وبعد الانتهاء من هذا التجديد اختلفوا فيمن ينال شرف وضع هذا الحجر مكانه من القبائل وكاد هذا الاختلاف يشعل الحرب بينهم إلا أن أحدهم أشار عليهم الاحتكام إلى أول من يدخل عليهم[1].

فكان أول من دخل عليهم هو «محمد بن عبد الله» ﷺ فاحتكموا إليه لما عرفوا عنه ﷺ الصدق والأمانة والحكمة وحسن الاعتدال.

فأشار عليهم أن يضعوا هذا الحجر المبارك على ثوب أحدهم، وأن ترفع كل قبيلة من طرف الثوب لتنال هذا الشرف العظيم، ففعلوا ذلك وهدأ الأمر بينهم.

وقد اعتدي على الحجر عام (٣٢٩هـ) عندما سرقه القرامطة وحملوه إلى دولة البحرين لكن المطيع لله «الفضل بن المقتدر العباسي» استطاع إعادته إلى مكانه المبارك.

كما أن هذا الحجر المبارك قد تصدع في زمن عبد الله بن الزبير بن العوام رضي الله عنه أثناء معاركه مع الحجاج بن يوسف الثقفي من أجل أخذ البيعة من عبد الله بن الزبير ليزيد بن معاوية بالقوة، وتصدع هذا الحجر المبارك بسبب شدة القتال، ولكن عبد الله بن الزبير عندما انتصر عليهم في أول الأمر أعاد بناءه من جديد كما ذكرنا، وقد أحاط هذا الحجر بإطارات من الفضة.

وقد اعتنى به هارون الرشيد من بعده وحلاه بالماس. اللهم فزد هذا الحجر وبيتك الحرام تعظيمًا وتشريفًا ومهابة.

---

(١) تفسير فخر الدين الرازي (٢ / ٤٠٦).

فضل مقام سيدنا إبراهيم عليه السلام

لقد عظم الله وشرف هذا المقام بذكره في القرآن الكريم وذلك لقول الله تعالى:

﴿ وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى ﴾ (البقرة: ١٢٥) خاصة أن الله - عز وجل- حفظ هذا المكان بكل ما فيه بالأمن والأمان والتشريف، وجعله مكانًا مباركًا لما يعلمه الله - عز وجل- من فضل هذا المكان المبارك.

وذكر ابن عباس -رضي الله عنهما- أن هذا المكان هو الذي وضع به سيدنا إبراهيم عليه السلام رجليه وهو يبني الكعبة المباركة.

وقد حدد بعض العلماء مقام سيدنا إبراهيم عليه السلام أنه الحرم، ومنهم من قال إنه المزدلفة والجمار.

وقيل: إنه مكان من داخل الكعبة لأن قريش عندما أعادت بناء الكعبة قبل بعثة رسول الله ﷺ قد نقصت منها لقول رسول الله ﷺ للسيدة عائشة -رضي الله عنها:

«لولا أن أهلك أهل جاهلية وحديثي عهد بالإسلام لفعلت»[1].

ويذكر سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قد سأل رسول الله ﷺ قائلاً: أفلا نتخذ من المقام مصلى؟ فقال رسول الله ﷺ:

«لم أمرك بذلك»[2].

ولكن ما هي إلا ساعات وبعد أن غابت شمس هذا اليوم نزل سيدنا جبريل عليه السلام بقول الله تعالى:

﴿ وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى ﴾ (البقرة: ١٢٥).

وقيل إن الصحف التي وجدت بالكعبة عند إعادة بنائها وجدت بمقام إبراهيم عليه السلام.

وعن سيدنا عبد الله بن عمر -رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله ﷺ:

---

(١) فتح الباري (٣ / ٥٢٣). رواه البخاري (١٥٨٣).

(٢) تفسير فخري الدين الرازي (٢ / ٤٠٣).

«الركن والمقام ياقوتتان من يواقيت الجنة طمس الله نورهما ولولا ذلك لأضاءا ما بين المشرق والمغرب وما مسهما ذو عاهة ولا سقيم إلا شفي».

وعن السيدة عائشة -رضي الله عنها - قالت: كنت أحب أن أصلي في البيت؛ فأخذ رسول الله ﷺ بيدي فأدخلني فقال:

«صلي فيه فإنما هو قطعة من البيت ولكن قومك استقصروا حتى بنواء الكعبة فأخرجوه من البيت»[1].

ولذلك أمرنا الله عز وجل بالصلاة في هذا المكان المبارك كما ذكرنا من قبل.

وقال ابن عباس -رضي الله عنهما- «لول وليت من البيت ما ولي ابن الزبير لأدخلت الحجر كله في البيت فلم يطاف به إن لم يكن من البيت» فمن يطوف حول الكعبة يطوف حولها هي ومقام سيدنا إبراهيم.

وقيل: إن قريشًا أنقصت ستة أذرع من بناء الكعبة عن بناء سيدنا إبراهيم عليه السلام.

---

(١) فتح الباري (٣ / ٥٢٨).

فضل الأشهر الحرم

قال تعالى:

﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ﴾ (التوبة: ٣٦).

والأشهر الحرم هي أربعة كما ذكرتها هذه الآية وهي (ذو القعدة - ذو الحجة - المحرم - شهر رجب).

وكانت العرب كثيرة الحروب، وكانت حروبهم تشتمل بالمائة عام، ورغم ذلك كانوا يعظمون هذه الشهور ويحرمون فيها القتال؛ لأنها مواسم الحج وزيارة البيت الحرام حتى في الجاهلية ليأمن الحاج على نفسه، فمدح الإسلام تعظيمهم هذا للأشهر الحرم.

كما أنهم كانوا يعظمون هذه الأشهر ويضمون القلائد في رقاب الإبل.

وحرم العرب في الجاهلية القتال وسفك الدماء في هذه الأشهر حتى لو وجد الرجل قاتل أبيه أو قاتل أخيه أو ابنه فكل منهما في أمان من الآخر لأداء مناسك زيارة البيت الحرام، وقد عرف شهر رجب عندهم برجب مضر ورجب ربيعة؛ لأن كل قبيلة من العرب كان لها تقويم خاص بها، وقد تختلف هذه التقاويم قليلاً ولكن كان هذا أكبر دليل على رقي العرب وجميع ألوان حضارتهم قديمًا، وكانوا يطلقون على شهر رجب وشهر شعبان بالرجبين، وذلك لأداء شعائر الله وذلك لقول الله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلا الْهَدْيَ وَلا الْقَلائِدَ وَلا آمِّينَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ﴾ (المائدة: ٢).

ومن هذه الآية نعلم أن الله حرم القتال في هذه الشهور، وأنه لا يحل لأحد أن يحل ما حرم الله فيها من القتال وغيره، كما أن العرب كانوا قديمًا يسعون بين الصفا والمروة ويعتبرونها من شعائر الله في الحج فجعلها الله لهم من الشعائر اقتداء بأم إسماعيل السيدة هاجر عليهم السلام أجمعين.

دعاء الرسول ﷺ

حج رسول الله ﷺ مرة واحدة، وهي ما عرفت بحجة الوداع، وكان ذلك في العام العاشر من هجرة رسول الله ﷺ، وكان معه في حجة الوداع تسعون ألفًا من المسلمين أو يزيدون عن ذلك.

وقد كان رسول الله ﷺ خرج للحج هو ومن معه لأيام قلائل بقين من شهر ذي القعدة بعد أن استخلف على المدينة المنورة «أبا دجانة الأنصاري»[1].

وقد خرجت هذه الجموع مع سول الله ﷺ للحج للاقتداء برسول الله ﷺ. وبعد أن أحرم رسول الله ﷺ وركب ناقته «القصواء» متجهًا إلى مكة لأداء الحج لبى قائلاً:

«لبيك اللهم لبيك، لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك، لا شريك لك».

وصار رسول الله ﷺ حتى دخل مكة من الثنية العليا وهي المعروفة بثنية «كداء»[2] ولما رأى رسول الله ﷺ الكعبة المشرفة دعاء بقوله الشريف:

«اللهم زده تشريفًا وتعظيمًا ومهابة وبرًا، وزد من عظمه»، ثم طاف رسول الله ﷺ بالبيت سبعة أشواط بعد أن استلم الحجر ثم صلى رسول الله ﷺ الحجر الأسود عند طوافه ثم صلى رسول الله ﷺ ركعتين عند مقام سيدنا إبراهيم عليه السلام.

ثم شرب من ماء زمزم المبارك ، ثم سعى بين الصفا والمروة سبع مرات، ثم صعد رسول الله ﷺ وهو يقوال:

«لا إله إلا الله. الله أكبر. لا إله إلا الله. وحده أنجز وعده ونصر عبده وهـ الأحزاب وحده».

وفي اليوم الثامن من ذي الحجة اتجه ﷺ إلى «منى» فبات بها.

وفي التاسع توجه إلى جبل عرفات ، وهناك خطب خطبة حجة الوداع.

---

(١) لبيك ص ٢٠ . (٢) لبيك ص ٢١ .

وفي هذا اليوم نزل قوله تعالى :

﴿ اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا﴾.

ثم أكمل رسول الله ﷺ باقي أعمال الحج من رمي الجمار، والحلق، والطواف، ثم أقام بمكة عشرة أيام ثم توجه هو ومن معه عائدًا إلى المدينة المنورة وهو يكبر ويقول:

«لا إله إلا الله وحده لا شريك له. له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير. آيبون تائبون عابدون ساجدون لربنا حامدون صدق الله وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب» وبقي رسول الله ﷺ بالمدينة المنورة إلى أن لحق بالرفيق الأعلى – عز وجل.

هدم الكعبة ورفعها إلى السماء في آخر الزمان

ذكر الإمام الشيباني عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«يخرب الكعبة رجل من الحبشة يقال له ذو السويقتين»[١].

وذكر الصحابي الجليل «عبد الله بن عباس» رضي الله عنهما قال: قال رسول الله :

«كأني بأسود افحج يقلعها حجرا حجرا»، افحج أي أنه رجل متباعد الساقين.

وذكر حذيفة أن رسول الله ﷺ قال:

«كأني بحبشي أفحج الساقين أزرق العينين افطس الأنف، كبير البطن، وأصحابه ينقضونها حجراً حجراً ويتناولونها حتى يرمون بها إلى البحر» يعني الكعبة.

وذكر ابن الجوزية في حديث طويل نذكر منه قول رسول الله ﷺ:

«استكثروا من الطواف حول هذا البيت قبل أن يحال بينكم وبينه، فكأني برجل من الحبشة أصعل أجمع احمش الساقين قاعد عليهما وهي تهدم».

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله :

«يبايع الرجل بين الركن والمقام، وأول ما يستحل من هذا البيت أهله، فإذا استحلوه فلا تسأل عن هلكة العرب، ثم تجيء الحبشة فيخربونه خراب لا يعمر بعدد أبداً وهم الذين يستخرجون كنزه».

وجاء في كتاب مناسك الحج: «لا تغرب الشمس يومًا ، إلا ويطوف بهذا البيت رجل من الأبدال، ولا يطلع الفجر من ليلة[٢] إلا وطاف به واحد من الأوتاد، وإذا انقطع ذلك كان سبب رفعه من الأرض فيصبح الناس ، وقد رفعت الكعبة ليس فيها أثر، وهذا إذا

---

(١) التذكرة ص ٦٨٥ .

(٢) التذكرة ص ٦٨٥ .

أنى عليها سبع سنين لم يحج إليها أحد.

ثم يرفع القرآ الكريم من المصاحف فيتصفح الناس فإذا الورق أبيض يلوح ليس فيه حرف، ثم ينسخ القرآن من القلوب، فلا يذكرون كلمة واحدة.

ثم يرجع الناس إلى الأشمار والأغاني والأخبار الجاهلية. ثم يخرج الدجال وينزل عيسى عليه السلام؛ ولذلك قال رسول الله ﷺ:

«استكثروا من الطواف فقد يهدم مرتين ويرفع في الثالثة»

أماكن مقدسة

تتعدد الأماكن المقدسة في مكة منها الكعبة، وبئر زمزم، ومقام سيدنا إبراهيم عليه السلام والحرم النبوي ، وجبل الصفا والمروة، والعديد من الأماكن المقدسة الأخرى نذكر منها :

١ - غار ثور[١]:

يقع غار ثور في جبل ثور في الجهة الجنوبية من مكة ومن المعروف أن هذا الجبل به الغار الذي احتضن الدعوة الإسلامية في بدايتها، وهو الغار الذي استراح به الرسول ﷺ هو وسيدنا أبو بكر الصديق رضي الله عنه وهما في طريقهما إلى المدينة المنورة أثناء الهجرة النبوية من مكة إلى المدينة.

٢ - غار حراء[٢].

يقع هذا الغار بجبل النور وهو الغار الذي كان يذهب رسول الله ﷺ ليتعبد فيه قبل البعثة رفضاً بعقله وفطرته التي فطره الله عليها وحفظه من عبادة الأصنام التي تعبدها أهل مكة ، فكان رسول الله ﷺ يجلس في هذا الغار يتفكر في خلق هذا الكون بما فيه من السموات والأرض وفي كل ما حوله من شمس وقمر وبحار وأنهار فنزل عليه سيدنا جبريل عليه السلام بقول الله تعالى:

﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق﴾ (العلق : ١).

٣ - آثار موقعة بدر[٣]:

تقع قرية بدر عند بئر بدر على الطريق المؤدي إلى المدينة المنورة، وعلى أرض هذه القرية وقعت غزوة بدر الأولى وبدر الكبرى في الرابع عشر من شهر رمضان من العام الثالث الهجري، وكذلك غزوة بدر الأخيرة، فنصر الله الحق على الباطل على أرض هذه القرية، وهي من الأماكن المقدسة التي يحرص الكثيرون على زيارتها أثناء أداء الحج أو العمرة.

(١ ، ٢) لبيك).

(٣) لبيك : ص ٨٥ .



٤ - المسجد النبوي:

المسجد النبوي هو مسجد الرسول ﷺ وهو المعروف بالحرم النبوي بالمدينة المنورة، وفيه قال رسول الله ﷺ :

«لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجدي هذا والمسجد الأقصى».

وقد قال الإمام الجليل مالك: «إنني أخشى أن أركب دابة في المدينة المنورة خشية أن تدوس الدابة مكان مشى فيه رسول الله ﷺ، أو يقع حافرها على مكان قدم رسول الله ﷺ.

وفي فضل هذا المكان قال رسول الله ﷺ:

«ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة».

٥ - مسجد القبلتين:

وهو أشهر مساجد المدينة المنورة الذي أنزل الله على رسوله أمره بتحويل القبلة من ناحية مسجد الشام حيث المسجد الأقصى إلى المسجد الحرام إلى الكعبة المشرفة؛ لأن رسول الله ﷺ كان يتطلع إلى ذلك بعد أن ظل يتجه في صلاته إلى المسجد الأقصى ستة عشرة شهرًا ثم أعطاه الله ما يريد، وعرف هذا المسجد إلى يومنا هذا بمسجد القبلتين.

٦ - مسجد قباء:

هو أول مسجد بناه رسول الله ﷺ بالمدينة المنورة عندما دخلها في أول أيام الهجرة، وبعد أن كثرت المساجد بالمدينة كان رسول الله ﷺ حريصًا على أن يذهب إليه كل يوم سبت فيصلي فيه ركعتين، وفي هذا المسجد قال رسول الله ﷺ:

«من تطهر في بيته ثم أتى مسجد قباء فصلى فيه فكانت له كأجر عمرة».

وقيل: إن قول الله تعالى:

﴿لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ﴾ (التوبة: ١٠٨).

٧ - البقيــع[١]:

البقيع هو المكان الذي دفن به عدد من صحابة رسول الله ﷺ بالمدينة المنورة، وقد دفن بهذا البقيع زوجات الرسول ﷺ عدا السيدة «خديجة»، وكذلك أولاده ﷺ.

أقام عضد الدولة عام (٣٦٠هـ) سورًا ليكون هذا السور فاصل بين البقيع والمدينة المنورة، وقد جدد هذا السور «جمال الدين الأصبهاني» عام (٥٤٠هـ) كما جدده «سليمان القانوني» عام (٩٤٨هـ)، وكان هذا السور طوله أربعة آلاف ذراع.

٨ - مقابر المعلاة[٢]:

تقع هذه المقابر في مكة وقد دفن فيها رؤوس الكفر من قريش، وهي تقع عند مدخل مكة من جهة الحجون كما دفن بهذه المقابر عبد المطلب جد رسول الله ﷺ وأبي طالب عم رسول الله ﷺ كما دفنت بمقابر المعلاة أم المؤمنين السيدة «خديجة بنت خويلد» ماتت قبل الهجرة، وكذلك السيدة أسماء بنت أبي بكر الصديق وآخرون رضي الله عنهم.

(١ ، ٢) لبيك ص ٨٩ .

أحاديث في الحج

عن ابن عباس -رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله ﷺ:

«من أراد الحج فليعجل فإنه قد يمضي المريض وتضل الراحلة، وتكون الحاجة».

وعن رسول الله ﷺ قال:

«يقول الله عز وجل إن عبداً صححت له جسمه، ووسعت عليه المعيشة تمضي عليه خمسة أعوام لا يفد إلى الحرم فليموت يهوديًا أو نصرانيًا إن شاء».

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة».

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«هذا البيت دعامة الإسلام فمن خرج يؤم هذا البيت من حاج أو معتمر كان مضمونًا على الله إن قبض أن يدخله الجنة، وإن رده رده بأجر وغنيمة».

وقال رسول الله ﷺ:

«من حج فلم يرفث ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه».

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: خطبنا رسول الله ﷺ فقال:

«يا أيها الناس إن الله كتب عليكم الحج فحجوا، فقال رجل: أكل عام يا رسول الله؟ فسكت . فقال الرجل: أكل عام يا رسول الله ؟ فسكت. فقال الرجل: أكل عام يا رسول الله؟ فقال رسول الله ﷺ :

«لو قلت نعم لوجبت وما استطعتم».

وعن ابن عباس -رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله ﷺ:

«سمعت رجلاً يقول لبيك عن شبرمة، فقال رسول الله ﷺ: «أحججت عن نفسك؟ قال: لا. قال رسول الله ﷺ: حج عن نفسك ثم حج عن شبرمة».

وقال رسول الله ﷺ:

«أفضل الجهاد حج مبرور».

وقال رسول الله ﷺ:

«الحاج والغازي وفد الله - عز وجل- وإن دعوه أجابهم وإن استغفروه غفر لهم».

وقال رسول الله ﷺ:

«تابعوا بين الحج والعمرة فإنهما ينفيان الفقر والذنوب كما ينفي الكير خبث الحديد».

وقال رسول الله ﷺ:

«الحجاج والعمار وفد الله يعطيهم ما سألوه ويستجيب لهم ما دعوا ويخلف عليهم ما أنفقوا الدراهم بألف ألف».

وقال رسول الله ﷺ:

«اللهم اغفر للحاج ولمن اسغفر له الحاج».

وقال رسول الله ﷺ:

«من مات في الحرمين بعث من الآمنين يوم القيامة».

وعنه قال ﷺ «من لم تحبسه حاجة ظاهرة أو مرض حابس أو سلطان جائر ولم يحج فليمت إن شاء يهوديًا أو نصرانيًا».

وقال رسول الله ﷺ:

«من ملك زادًا وراحلة تبلغه بيت الله الحرام ولم يحج فلا عليه أن يموت يهوديًا أو نصرانيًا».

وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ:

«إذا خرج الخارج حاجًا بنفقة طيبة ووضع رجله في الغرز ونادى لبيك ! اللهم لبيك. ناداه مناد من السماء: لبيك وسعديك زادك حلال وراحلتك حلال وحجك

مبرور وغير مأزور[١].

وإذا خرج بالنفقة الخبيثة فوضع رجله في الفرز فنادى لبيك ناداه مناد من السماء: لا لبيك و لا سعديك زادك حرام ونفقتك حرام وحجك غير مبرور».

عن عمران بن حصين رضي الله عنه قال: ما قام فينا رسول الله ﷺ خطيبًا إلا أمرنا بالصدقة، ونهانا عن المثلة، وقال ﷺ:

«الا وإن من المثلة أن ينذر الرجل أن يخرم أذنه الا وإن من المثلة أن ينذر الرجل أن يحج ماشيا، فمن نذر أن يحج ماشيًا فليهد هديًا وليركب»[٢].

وعن الأكل من لحوم الأضاحي للحج قال رسول الله ﷺ في الحديث الذي رواه أبو سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«إني كنت أمرتكم الا تأكلوا لحوم الأضاحي فوق ثلاثة أيام لتسعكم وإني أحله لكم فكلوا منه ما شئتم ولا تبيعوا لحوم الهدي والأضاحي فكلوا وتصدقوا واستمتعوا بجلودها ولا تبيعوها وإن أطعمتم من لحمها فكلوا إن شئتم».

عن عبد الله بن عباس -رضي الله عنهما- قال: جاءت امرأة إلى رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله ! إن فريضة الله على عباده في الحج أدركت أبي وهو شيخ كبير لا يثبت على الراحلة. أفحج عنه؟ قال: «نعم». وذلك في حجة الوداع، وهذا يجوز بشرط أن تحج هي عن نفسها أولاً كما ذكرنا في حديث شبرمة. (رواه البخاري ١٥١٣).

وعن أم المؤمنين السيدة عائشة زوج رسول الله ﷺ قالت: إن رسول الله ﷺ بعث معها أخاها عبد الرحمن فأعمرها من التنعيم وحملها على قتب.

وقال سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه : «شدوا الرجال في الحج فإنه أحد الجهادين».

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله عندما سئل عن أي الأعمال أفضل؟ قال رسول الله ﷺ:

---

(١) خطب الرسول ﷺ ص ٦١ .

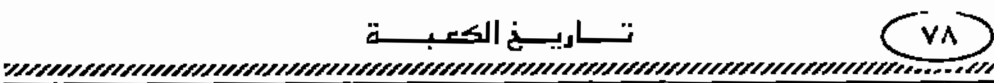
(٢) رواه الإمام أحمد في مسنده ج ٤ .

«إيمان بالله ورسوله.. قيل : ثم ماذا؟ قال: جهاد في سبيل الله. قيل ثم ماذا؟ قال: حج مبرور» (رواه البخاري ١٥١٩).

وعن ابن عمر أن رسول الله ﷺ كان يلبي ويقول:

«لبيك اللهم لبيك . لبيك لا شريك لك لبيك. إن الحمد والنعمة لك والملك. لا شريك لك».

وعن ابن عمر قال: كان رسول الله ﷺ يدخل مكة من الثنية العليا وينزل من الثنية السفلى، والثنية العليا مكان يقال له كداء والثنية السفلى مكان يقال له البطحاء.



الخاتـــمــة

الحمد لله، والشكر لله على فضله الكثير وخيره الكبير علينا حمدًا يكافئ قدره وحقه.. وبعد الحمد لله الذي أعانني على هذا العمل الجليل بعد أن هداني إلى العشرات من الأعمال الأخرى التي تخدم أبناء الدين.

والحمد لله الذي هداني إلى الصواب والخير.

والحمد لله الذي شرفني برؤية الكعبة المشرفة في المنام فبعد أن طبع هذا الكتاب البروفة الأولى باللغة العربية وبعد أن قمت بمراجعتها وانتهيت من ذلك ليلة الخميس الموافق ١٥ من شوال من عامل ١٤٢٣ هـ الموافق ١٩ من ديسمبر من عام ٢٠٠٢ م فقد أكرمني الله - عز وجل- بأن رأيت أنني واقف على باب الكعبة، وأن ابن أخي الأستاذ «جابر حجاج» بيده مفاتيح الكعبة، ففتحها لي، ودخلتها فوجدتها نورًا من الداخل مرتفعة السقف، وقد دعوت الله بداخل الكعبة ثلاث دعوات هي بنفس النص:

«اللهم فانصر الإسلام. اللهم فانصر مصر. اللهم فانصر العراق» ، ثم صليت داخل الكعبة وسجدت بداخلها.

وأدعو الله - عز وجل- أن تكون هذه الدعوات مقبولة بحق سيدنا محمد ﷺ وبحق الكعبة المشرفة. آمين . آمين. آمين يا رب العالمين.

المراجع والمصادر

أولاً القرآن الكريم.

ثانيًا:

فتح الباري لابن حجر العسقلاني.

البداية والنهاية، للحافظ ابن كثير.

خطب الرسول ﷺ ، محمد خليل الخطيب.

أخبار مكة، للإمام الأزرقي.

تفسير مفاتيح الغيب، لفخر الدين الرازي.

الكعبة، أحمد بهجت.

المحمل، يوسف أحمد.

الدين والحج، عباس كرارة

لبيك ، محمد كامل حتة.

الكعبة على مر العصور، د. علي حسن الخربوطلي

آيات الحج والعمرة، محمد محمد الدمان

مناسك الحج والعمرة، السيد محمد ماضي

رياض الصالحين ، لابن كثير

الفقه الواضح، محمد بكر إسماعيل

التذكرة في أحوال الموتى والآخرة، للإمام القرطبي.

الفهرس